شرح ثلاثة الأصول

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله تعالى

من دروس

الشيخ عبد الله بن إبراهيم القرعاوي

إمام وخطيب الجامع الكبير ببريدة

Www.qaraye.com

دار الصميعي للنشر والتوزيع

شرح ثلاثة الأصول

لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى

من دروس

الشيخ عبدالله بن إبراهيم القرعاوي

إمام وخطيب الجامع الكبير ببريدة

ح عبدالله بن إبراهيم القرعاوي، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القرعاوي، عبدالله إبراهيم

شرح ثلاثة الأصول لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله عليه/ عبدالله إبراهيم القرعاوي- الرياض، ١٤٣٤هـ

١٤٨ ص: ، سم: ١٧× ٢٤

ردمك: ٥- ٢٥٩٧- ٠١- ٦٠٣- ٩٧٨

١- العقيدة الإسلامية ٢- التوحيد أ. العنوان

ديوي: ٢٤٠ ١٤٣٤/ ٦٦١٠

رقم الإيداع: ٦٦١٠/ ١٤٣٤

ردمك: ٥- ٢٥٩٧- ٠١- ٦٠٣- ٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣

دار الصميعي للنشر والتوزيع، المركز الرئيسي السويدي، شارع السويدي العام -الرياض

ص. ب: ٤٩٦٧/ الرمز البريدي: ١١٤١٢ هاتف: ٤٢٥١٤٥٩،٤٢٦٢٩٤٥ فاكس: ٤٢٤٥٣٤١

فرع القصيم: عنيزة، بجوار مؤسسة الشيخ ابن عثيمين الخيرية

هاتف: ٣٦٢٤٤٢٨، فاكس: ٣٦٢١٧٢٨ مدير التسويق: ٠٥٥٥١٦٩٠٥١

المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: daralsomaie@hotmail.com

دار الصميعي للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وآله وصحبه. وبعد:

فقد كنت أقرأ كتاب، ثلاثة الأصول، على الشيخ عبدالله بن إبراهيم القرعاوي، في الجامع الكبير ببريده، وكنت أكتب ما يشرحه، ولما رأيته شرحاً مفيداً، يحتاج إليه طالب العلم قمت بجمعه. أسأل الله أن ييسر نشره، لينتفع به، وأن يجزي الإمام محمد بن عبدالوهاب، وشارح كتابه، المذكور خير الجزاء، إنه سميع الدعاء.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كاتبه

خالد بن رويبح الرشيدي

شرح ثلاثة الأصول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. وبعد:

قال شيخ الإسلام الإمام المجدد لما اندرس من الملة الحنيفية: الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى.

اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل:

قوله رحمه الله يجب علينا تعلم أربع مسائل: أي على كل بالغ عاقل قادر من ذكر وأنثى وحر وعبد وغني وفقير. وتاجر ومزارع كل هؤلاء يجب عليهم معرفة هذا العلم في هذه المسائل.

قال رحمه الله تعالى: الأولى العلم: (وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة). نعم الدليل على وجوب معرفة ما ذكر رحمه الله تعالى بالأدلة، قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٨٦]. يعلمون بقلوبهم ما نطقوا به بألسنتهم، وهذا من أقوى الأسباب على الثبات على الحق والتمسك بهذا الدين في الحياة الدنيا وبعد الممات، وفي سؤال القبر وما بعده كما سيأتي في حديث أنس ﷺ المذكور قريبا، فإن الإنسان إذا، دخل في هذا الدين بعلم وبصيرة لم يحصل له بالتشبيه، شبهة، ولا بالتشكيك، شك، وإن حصل عنده ريب، دفعه بالعلم المنافي للجهل وباليقين المنافي للشك والريب.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

والدليل من السنة حديث أنس بن مالك ﷺ أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح في قبره ثم رجع إلى حديث أنس قال وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين». رواه البخاري وغيره.

فإذا كان الإنسان سيسأل في قبره عن ربه ونبيه ودينه، ويقال له ما علمك بهذا... الخ. كما في هذا الحديث، وكما سيأتي إن شاء الله في حديث البراء ﷺ.

فإنه يجب على العبد معرفة ذلك بعلم. كما أن العبد إذا عرف ربه بعلم أحبه جل وعلا وأخلص له العبادة، وإذا عرف نبيه بعلم وما وهبه الله تعالى، من الأخلاق الحسنه والصفات الحميدة، والأفعال الكريمة، كان هذا من اقوي الأسباب الجالبة لمحبة الرسول ﷺ وإذا أحبه ﷺ محبة إيمان وعبادة، أحب أوامره، وكره ما نهى عنه ﷺ وجرد متابعته للرسول ﷺ، وإذا عرف الإسلام بعلم، وما شرع الله فيه من الحق واليسر والتيسير ورفع الحرج أحبه

وتمسك به وعظ عليه بالنواجذ. قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ الآية [البقرة: ١٨٥].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

كما أن طلب العلم الشرعي من أفضل الأعمال: قال الإمام أحمد رحمه الله: (طلب العلم أفضل الأعمال لمن صحت نيته) وقد ذكر الله ﷻ في القرآن العظيم: **فضل العلم، والعلماء العاملين، وكذلك في سنة رسول الله ﷺ، كقوله تعالى:** ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ الآية [آل عمران: ١٩]. **فان الله تعالى استشهد بأولي العلم على أعظم مشهود به في هذه الآية.**

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩]. وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [قدسمع: ١١].

وفي الحديث: قال حميد بن عبد الرحمن: سمعت معاوية خطيبًا يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: **«من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم، والله يعطي، ولا تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله»**. رواه البخاري ومسلم.

وقال النبي ﷺ: **«من سلك طريقا يطلب به علماً سلك الله له به طريقا من طرق الجنة»**. رواه أبو داود وذكره الألباني في صحيح أبي داود.

وقال النبي ﷺ: «وإن العلماء ورثة الأنبياء» ذكره الألباني في صحيح أبي داود.

قال رحمه الله الثانية العمل به: نعم العمل بالعلم هو ثمرة العلم، فإن الذي لا يعمل بعلمه، ورد فيه وعيد شديد.

كما في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ إن أول من تسعر بهم النار نعوذ بالله من النار وأول الناس يقضى عليه يوم القيامة وذكر منهم **«رجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن: قال كذبت: ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار».** الحديث رواه مسلم.

كان أبو هريرة رضي الله عنه إذا حدث بهذا الحديث، ينشغ ثلاث نشغات، ويجثو على ركبتيه، ثم يحدث هذا الحديث، خوفاً من الله ﷻ.

وقد ورد في الحديث عنه ﷺ: **«من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله ﷻ لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ريحها».** رواه احمد.

قال أحمد شاكر إسناده صحيح وقال ابن تيمية أسانيده صحيحه، وقال النووي إسناده صحيح.

ولا ريب أن ثمرة العلم هي العمل، وإلا ما فائدة من لا يعمل بعلمه، يكون كالسراج يضيء للناس، ويحرق نفسه.

وفي الحديث عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: **«يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ**

بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ لَهُ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ لَهُ يَا فُلانُ، مَا لَقِيتَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: بَلَى، كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَلا أَنْتَهِي». رواه البخاري وغيره.

وكان الصحابة ﷺ، إذا تعلموا عشر آيات، لم يتجاوزهن، حتى يعلموا معانيهن، ويعملوا بهن.

قال رحمه الله **الثالثة الدعوة إليه:** أي الدعوة إلى الله كما أمر الله الرسل عليهم الصلاة والسلام ومن اتبعهم قال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ الآية [فصلت: ٣٣].

يدعو إلى الله لا إلى حظ نفسه. أي أنه يدعو الناس إلى عبادة الله والإخلاص لوجهه أو أنه يدعو الناس إلى عبادة الله لا يريد شيئا من الدنيا وإنما يريد الأجر والثواب من الله ﷻ.

و الرسول ﷺ قد جمع هذين المعنيين، في الدعوة إلى الله، فإنه ﷺ يدعوا الناس إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً. ويدعوا إلى الله تعالى، مخلصاً لوجهه الكريم، لا إلى حظ نفسه وإنما يريد الله والدار الآخرة وكذلك من اتبعه.

كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٥٧].

وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣].

وقوله على بصيرة: أي أنه ﷺ يدعو إلى الله على بصيرة ومن اتبعه، أو أنه على بصيرة ومن اتبعه.

وقد ورد في فضل الدعوة إلى الله، قوله ﷺ «**من دعا إلى هدى كان له من الأجور مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا**». رواه مسلم وغيره.

وقوله ﷺ، لعلي رضي الله عنه: «**لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم**». رواه البخاري.

وقول النبي ﷺ: «**فليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع**». الحديث رواه البخاري.

والدعوة إلى الله تعالى لا يشترط، أن تكون بالوعظ الجماعي والتذكير، بل بهذا وغير ذلك، وهذا منها، لكن هناك من أنواع الدعوة إلى الله، ما هو أسهل وهو أن تدعو أخاك، أو زميلك، أو ولدك، وأهلك، أو أحدا ممن تراه يحتاج للتذكير والوعظ، تدعوه إلى الله تعالى وإلى طلب العلم أو إلى العمل بحديث صح عن النبي ﷺ أو تكون دعوته بالتحذير من المنكر، وفعله وأفضل ذلك كله الدعوة إلى الله، بتعليم التوحيد والتحذير من الشرك، فأبو أبكر، دعى من يجالسه دعى طلحة بن عبيد الله، وغيره من العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، دعاهم إلى توحيد الله، والإيمان برسول الله فأسلموا رضي الله عنهم وأرضاهم، فيحرص الإنسان على الدعوة إلى الله، ولا ينتصر لنفسه ولا يدعوا لحظ نفسه، ولا يدعو لحزب دون حزب ولا إلى ناس دون ناس، وإنما يدعوا إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وفيه كلام لابن تيمية، رحمه الله تعالى، ومعناه أن من دعى إلى أحد دون أحد، بمجرد الهوى، يكون فيه شبهٌ من الرافضة، الذين يعظمون أئمتهم، ويحذرون من غيرهم، وكذلك غلاة الصوفية، الذين يأخذون عمن يعظمون، ولا يأخذون عن غيرهم، ولو كان معهم الحق.

فعلى المسلم أن يحرص على أن يتبع كتاب الله وسنة، رسول الله ﷺ وما كان عليه الصحابة ﷺ، والسلف الصالح، بالدعوة إلى الله، والصبر، والمصابرة، والمرابطة، بالله، ولله، ومع الله.

قال رحمه الله: الرابعة الصبر على الأذى فيه: أجلُّ كل عمل يحتاج إلى صبر، لاسيما الدعوة إلى الله، فإن الإنسان يحتاج إلى مجاهدة والمجاهدة تحتاج إلى احتساب، والاحتساب يحتاج إلى صبر، قال علي رضي الله عنه الصبر من الدين، بمنزلة الرأس من الجسد، فكما أن الجسد لا يقوم إلا بالرأس، كذلك الدين لا يقوم إلا بالصبر.

والناس على أنواع: منهم من عنده علم، ولا يعمل ولا يدعو ولا يصبر، ومنهم من عنده علم ويعمل ولا يدعو، ولا يصبر، ومنهم من عنده علم ويعمل ويدعو، ولا يصبر ومنهم من عند علم ويعمل ويدعو ويصبر، وهذا النوع هو من أفضل المتبعين لهدي رسول الله ﷺ الذين، علموا وعملوا، ودعوا إلى الله تعالى وصبروا.

والصبر أجره عظيم قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ [الزمر: ١٠].

والصبر ثلاثة أقسام:

الأول: الصبر على طاعة الله.

الثاني: الصبر عن محارم الله.

الثالث: الصبر على أقدار الله المؤلمة.

واعلم أن الصبر المحمود، الذي يثاب عليه العبد، هو الصبر لله وبالله ومع الله.

١- الصبر لله: هو الصبر ابتغاء وجه الله ﷻ، ولا يصبر من أجل أن يظهر، قوته وتجلده للناس، بل يرجو ما عند الله تعالى، لا إظهاراً لقوة النفس، والإستحياد إلى الخلق، وغيرهما من أمور الدنيا، بل الباعث له على الصبر، محبة الله وإرادة وجهه والتقرب لله.

٢- الصبر بالله: فهو الاستعانة بالله تعالى على الصبر ولا يعجب الإنسان بنفسه، ويقول أن أقوى على الصبر، بل يسأل الله تعالى الإعانة، كما قال الله لنبيه، ﷺ: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [النحل: ١٢٧].

فإن صبر العبد بربه لا بنفسه، يعني إن لم يصبرك الله لم تصبر.

٣- الصبر مع الله: وأما الصبر مع الله، فهو صبر على طاعة الله، وطاعة رسوله، لا في الأشياء المبتدعة في الدين كما يفعل الروافض في صبرهم، على ضربهم لأنفسهم، ولا في الاحتفالات المبتدعة، كالاحتفال بمولد، النبي ﷺ، بل إن الصبر مع الله، هو دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية، صابراً نفسه معها، سائراً بسيرها، مقيماً بإقامتها، يتوجه معها أين

توجهت ركائبها، وينزل معها أين استقلت مضاربها، فيحرص العبد أن يكون عمله صواباً، مخلصاً فيه لله تعالى، ويسأل ربه القبول والثبات وحسن الخاتمة، فكم إنسان مصيب لكن ليس بمخلص، أو يكون مخلصاً لكنه لا يثبت، وكان من دعاء النبي ﷺ **«اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد»** وقال عن خليله إبراهيم عليه السلام إنه كان يدعوا.

قال الله تعالى: ﴿تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧]، وهو مخلص لله، محسن في فعله، عليه الصلاة والسلام.

قوله رحمه الله والدليل قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣].

هذه السورة، دليل على ما ذكره الشيخ رحمه الله، من وجوب تعلم المسائل الأربع، لأن كل قول يحتاج إلى دليل من كتاب الله تعالى أو سنة، رسوله ﷺ، فقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾﴾ الواو واو القسم والعصر هو الدهر، وذلك دليل على أهميته وكل شيء أقسم الله به دليل على أهميته ﴿الْإِنسَانَ﴾ اسم جنس يشمل كل إنسان من ذكر وأنثى ﴿لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ أي خسارة ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر: ١٥]. لأن الخسارة الحقيقية، هي خسارة الآخرة، لأن الخسارة في الدنيا، تجد أحداً يساعدك فتنجبر خسارتُك في دنياك.

أما الخسارة في الآخرة: فإنك لا تجد أحداً ينفعك، ولا أحدا يعطيك ولا أحداً يرحمك: تأتي إلى أمك، أو إلى أبيك، كل يقول نفسي نفسي كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ هذا دليل العلم. ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، هذا دليل العمل. ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾، هذا دليل الدعوة إلى الله، ويوصي بعضهم بعضاً، بالحق والثبات عليه. وقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ يوصي بعضهم بعضاً، بالصبر، على العلم، والعمل، والدعوة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

عن أبي مدينة ﷺ قال كان الرجلان من أصحاب محمد ﷺ إذا التقيا، ثم أراداً، أن يفترقا قرأ أحدهما ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾. حتى يختمها ثم يسلم كل واحد منهما على صاحبه. رواه أبو داود في الزهد، والطبراني في الأوسط. وصححه، الألباني في صحيحه.

وقال الشافعي رحمه الله تعالى: (لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم).

والشافعي: هو محمد بن إدريس، الشافعي، إمام من أئمة المذاهب، رحمه الله تعالى.

وقوله رحمه الله (لكفتهم): أي لكفتهم في الحث، على تعلم هذا العلم، والعمل به والدعوة إلى الله، والصبر على الأذى، في الله تعالى.

قال رحمه الله وتعالى: وقال البخاري رحمه الله تعالى: بابٌ العلم قبل القول والعمل. والدليل قوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ الآية. [محمد: ١٩].

فبدأ بالعلم قبل القول العمل.

والبخاري: هو محمد بن إسماعيل البخاري، صاحب صحيح البخاري، الذي هو أصح كتب الحديث.

قال رحمه الله في صحيحه: باب العلم قبل القول والعمل: ثم أستدل بقوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

أي أن الله سبحانه وتعالى، بدأ بالأمر بالعلم بقوله: ﴿ فَٱعْلَمْ ﴾ ثم قال سبحانه: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ وهذا هو القول والعمل لأن الإنسان إذا قال وعمل بعلم وبصيرة، كان ذلك أزكى لعمله، وأرجى لقبوله، وقد ذم الله الذين يعملون بدون عمل، بقوله سبحانه: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

وهذا العلم الذي أمر الله به، هو علم التوحيد لقوله: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾.

وهذا دليل على أهمية التوحيد: والأمر في حق النبي ﷺ، للاستحباب لأن هذه الآية مدنية، فإن النبي ﷺ قد عَلِمَ عِلْمَ التوحيد وهو في مكة، فدعا ﷺ إلى (لا إله إلا الله) ثلاثة عشر سنة وهو في مكة.

وأما الأمر في حق الأمة فإنه للوجوب، يجب عليهم أن يتعلموا علم لا إله إلا الله ويعملوا به، ظاهراً وباطناً.

والبخاري رحمه الله: قال في صحيحه: (باب العلم قبل القول والعمل) لقوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ فبدأ بالعلم، وأن العلماء ورثة الأنبياء ورثوا العلم من أخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة.

وقال جل ذكره: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [الملك: ١٠].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وقال النبي ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين».

وإنما العلم بالتعلم وقال أبو ذر: لو وضعتم الصمصامة على هذه وأشار إلى قفاه ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من النبي ﷺ قبل أن تجيزوا علي لنفذتها.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كونوا ربانيين حكماء فقهاء ويقال الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره: انتهى من صحيح البخاري رحمه الله تعالى بلفظه.

قال رحمه الله تعالى: (أعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه الثلاث المسائل والعمل بهن).

الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملا بل أرسل إلينا رسولاً فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار.

والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل: ١٥-١٦].

قوله رحمه الله تعالى الأولى: (أن الله خلقنا): أي أنه سبحانه هو الذي خلق جميع المخلوقات من يعقل ومن لا يعقل فكل ما في السموات والأرض وما بينهما، الكل قد خلقه الله تعالى وأوجده.

عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور: ٣٥-٣٧] (قال كاد قلبي أن يطير).

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ الآية [النساء: ١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٥﴾ [الحج: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝١٦﴾ [ق: ١٦].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝١٤﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

وغير ذلك من الآيات التي ذكرها الله ﷻ.

وقوله رحمه الله: (ورزقنا) أي أن الله سبحانه لما خلقنا رزقنا، فإن الله سبحانه هو الرزاق قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨].

فإن الله تعالى رزق جميع خلقه، المؤمن منهم والكافر. من يعقل ومن لا يعقل من الحيوانات والدواب، وسواء كان الكسب من الحلال، أم من الحرام، فهو من رزق الله لكن يثاب العبد على الحلال، ويعاقب على الحرام.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود: ٦].

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٧].

ورزق الله عام وخاص: فالعام: هو رزق جميع الخلق.

وأما الخاص: فهو رزق القلوب. العلم والهدى والإيمان. فإن هذا الرزق يمنّ به على من يشاء من عباده، كما في قوله تعالى: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٤].

وقوله رحمه الله تعالى: (ولم يتركنا هملا) أي أنه سبحانه أمرنا ونهانا. وعلمنا ما لم نكن نعلم.

كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل: ٧٨].

فقد منَّ الله علينا بالعلم والمعرفة، وعلمنا ما لم نكن نعلم وذلك بإرسال الرسول محمد ﷺ، وإنزال الكتاب قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١].

فمن أطاع الرسول محمداً ﷺ وعمل بالقرآن دخل الجنة، ومن عصاه فقد توعد بدخول النار، ثم ذكر المصنف قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل: ١٥-١٦].

وبيلا يعني شديدا. أي يحذرنا الله لئلا نكون كما كان قوم فرعون عصوا موسى عليه السلام، فأخذهم الله وعاقبهم، فأمنوا بالرسول ﷺ، واتبعوه ولا تكونوا، كما كانوا فيأخذكم كما أخذهم، ويعاقبكم كما عاقبهم.

ثم قال رحمه الله الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته لا ملك مقرب ولا نبي مرسل. والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

أي أن الله سبحانه وتعالى لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته، لأنه سبحانه غني بذاته لا يحتاج إلى شيء، من عمل خلقه. قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ الآية. [الزمر: ٧].

وفي هذا إثبات صفة الرضى لله، ﷻ على ما يليق به سبحانه، كسائر صفاته خلافاً للأشاعرة والمعتزلة والجهمية، الذين ينكرون هذه الصفات ويتأولونها

على غير المراد منها، ولا شك أن مذهبهم مذهب باطل، لمخالفتهم لما رضيه الله، لنفسه، وأثبته له رسوله، ﷺ.

وقوله: (أن يشرك معه) أي أن يتخذ معه شريك والشرك مساواة غير الله في الله فيما هو من خصائص الله، أو دعوة غير الله مع الله.

والشرك نوعان: شرك أكبر وشرك أصغر:

فأما الشر الأكبر: فإن الله تعالى أخبر أنه لا يغفره لمن مات عليه قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨]. فصاحبه قد حرمت عليه الجنة.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

ويحبط العمل ولا يُقبل معه عمل: لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨].

وأما الشرك الأصغر: فهو كيسير الرياء، ولا يخرج من الملة، لكنه يبطل العمل الذي من أصله عمل رياء وسمعه.

أما إذا كان أصله لله، ثم خالطه، ولكن دافعه، فهذا لا يضره إن شاء الله تعالى.

والعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه: من الأقوال، والأعمال، الظاهرة والباطنة.

وسيأتي تفصيل العبادة، من كلام الشيخ رحمه الله تعالى إن شاء الله تعالى وقوله (لا ملك مقرب) كجبريل عليه السلام (ولا نبي مرسل) كمحمد ﷺ.

فإن الله سبحانه لا يقبل عبادة من يشرك معه في عبادته أحداً لأنه سبحانه غني بذاته ليس بحاجة إلى عبادة خلقه، كما في الحديث القدسي. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**». رواه مسلم.

فالله سبحانه ليس بحاجة إلى عمل عبده وإنما العبد هو الذي بحاجة إلى ربه، كما في الحديث القدسي.

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم و آخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم و آخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم و آخركم وإنسكم وجنكم قاموا على صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص**

ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه». رواه مسلم.

قوله رحمه الله: والدليل قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨ ﴾. قوله وأن المساجد، هي أماكن العبادة (لله) والأرض كلها لله تعالى، ولكن خصصت بالذكر، لأنها مخصصة للعبادة. وقيل المساجد الأعضاء التي لا يصح السجود إلا بها، وهي الجبهة مع الأنف، واليدان والركبتان، وأطراف القدمين، ولا مانع أن يقال بهما.

قال رحمه الله الثالثة: أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب والدليل قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٢٢ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قوله رحمه الله: (أن من أطاع الرسول ﷺ ووحد الله). أي أن من تبع الرسول ﷺ، ووحد الله تعالى بالعبادة، واجتنب الشرك.

بقي عليه شيء ثالث: وهو الولاء والبراء. والموالاة في الله والمعاداة فيه. يجب عليه أن يحب التوحيد، وأهله ولو كانوا بعيدين عنه بالنسب، ويبغض الشرك وأهله ولو كانوا من أقاربه وأرحامه، لقوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا

يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

فيجب، على المسلم أن يبغض الكفار، ولا يتولاهم ولو كان أقرب قريب، يعني ولو كان المحادُّ لله ولرسوله ﷺ، من آبائه، أو أبنائه أو عشيرته، لا يجوز له موالاته، وفيه فرق بين الموالاة والتولي، وقد نهانا الله تعالى أن نتخذهم أولياء في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴾ [الممتحنة: ١].

وقال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة: ٥١].

وقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ [الممتحنة: ٤].

قال رحمه الله اعلم أرشدك الله لطاعته: أن الحنيفية ملة إبراهيم، أن تعبد الله وحده، مخلصاً له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس، وخلقهم لها، كما قال

تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝﴾ [الذاريات: ٥٦]. ومعنى يعبدون يوحدون، وأعظم ما أمر الله به التوحيد: وهو إفراد الله بالعبادة وأعظم ما نهى الله عنه الشرك وهو دعوة غيره معه. والدليل قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

قوله رحمه الله تعالى: (والحنيفية هي ملة إبراهيم)، عليه السلام قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝﴾ [البينة: ٥].

والحنف هو الميل، ولذلك يقال رجل أحنف، يعني مائل الرجل، والمراد هنا أن المسلم يميل، عن الشرك إلى الإسلام قصداً، ومتعمداً، ومبغضاً للشرك وأهله، والحنيفية هي ملة إبراهيم قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝﴾ [البقرة: ١٣٠].

وقال تعالى: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝﴾ [الحج: ٣١].

وقوله: (أن تعبد الله مخلصاً له الدين) أي أن ملة إبراهيم هي أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين.

والإخلاص، هو حب الله وإرادة وجهه. قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ الآية [الزمر: ٣].

وقال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [البقرة: ١١٢].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [لقمان: ٢٢].

وقال رحمه الله تعالى: (وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها). أي أن الله سبحانه. أمر الله جميع الناس، أن يعبدوه ولا يشركوا به. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ الآية. [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزخرف: ٤٥].

وقوله رحمه الله: (وخلقهم لها) أي خلقهم ليعبدوه ولا يشركوا به شيئا، ففعل سبحانه الأول: وهو خلقهم، ليفعلوا هم الثاني وهي عبادته وحده لا شريك له.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. أي أن الجن مأمورون بعبادة الله تعالى واجتناب الشرك. كما أن الإنس مأمورون بذلك. ومعنى، يعبدون أي يوحدون.

كما جاء عن ابن عباس، اعبدوا وحدوا، أي وحدوا الله بالعبادة، ولذا لا يسمى من يصلي ويصوم، ويزكي ويحج، وهو يدعوا مع الله غيره، كمن يدعوا مع الله أمواتا أو يذبح لغير الله هذا لا يسمى عابداً لله، ولو صلى وصام لأنه

مشرك، لأن المشركين الأولين كانوا يعملون بعض العبادات لله، ومع ذلك قال الله لنبيه قل ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝﴾ [الكافرون: ٣].

وقوله رحمه الله تعالى: **وأعظم ما أمر الله به التوحيد: أي لأنه لا تصح العبادات إلا بالتوحيد، فلا تصح الصلاة إلا بالتوحيد، ولا تصح الزكاة إلا بالتوحيد**، وكذا سائر العبادات لا تصح إلا بالتوحيد **فالتوحيد يصح بنفسه، ولا يصح غيره إلا به.**

وهذا مما يدل على عظمة التوحيد. **مثال ذلك لو أن إنسانا، دخل في الإسلام ومات قبل أن تجب عليه عبادة، فإنه يرجى له دخول الجنة، والنجاة من النار**. كسحرة فرعون، لما آمنوا. نسأل الله الجنة ونعوذ بالله من النار. **فهذا مثال يصح بنفسه**: ومثال لا يصح غيره إلا به، **فهو كمثل إنسان يصلي ويصوم، ويحج ويتلو القرآن، طول عمره ستين سنة، أو أكثر ولكنه، يذبح لغير الله أو يدعوا معه غيره**، فهذا لا تصح عبادته، ولا تقبل، لأنه مشرك، **هذا معنى ولا يصح غيره إلا به أي إلا بالتوحيد.**

فالتوحيد عظيم ثوابه، عظيم أجر من عمل به: قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝﴾ [البقرة: ١١١-١١٢].

وفي حديث معاذ: عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: **«يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على**

الله؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا». قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: «لا تبشرهم فيتكلوا» أخرجاه في الصحيحين.

وفي حديث عتبان: أن قول (لا إله إلا الله) لا يكفي، حتى يقولها يبتغي وجه الله فإن من قالها، يبتغي وجه الله تعالى، يطيع الله ورسوله، محبة وخوفاً ورجاء.

عن عتبان بن مالك ﷺ مرفوعاً (إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله). رواه البخاري من حديث طويل.

فإن قال قائل ما هو التوحيد فقل هو إفراد الله بالعبادة فإن قال ما هي العبادة فقل هي كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

والتوحيد ثلاثة أنواع:

الأول توحيد الربوبية: هو توحيد الله بأفعاله كالخلق والرزق، والتدبير وغيرها.

الثاني توحيد الألوهية: وهو توحيد الله بأفعال العباد. كالدعاء والاستغاثة والذبح والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة.

الثالث توحيد الأسماء والصفات: وهو الإيمان بما وصف الله به نفسه أو وصف به رسوله ﷺ على ما يليق بجلاله وعظمته، من غير تعطيل ولا تحريف، ولا تمثيل ولا تكييف، ولا تشبيه، كما قال الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

وقوله رحمه الله تعالى: (وأعظم ما نهى عنه الشرك) لماذا؟ لأنه هضم للربوبية، وتنقص للإلوهية، وسوء ظن برب العالمين ولأنه لا يصح معه عمل.

كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥]. ولأنه لا يغفره الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: ١١٦].

فإن قال قائل ما هو الشرك: فقل دعوة غير الله مع الله فيما هو من خصائص الله، أو مساواة غير الله مع الله، فيما هو من خصائص الله. وقد تقدم، بيان، أنه ينقسم إلى قسمين، في المسألة الثانية من المسائل الثلاث.

وقوله رحمه الله تعالى: فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة، التي يجب على الإنسان معرفتها. فقل معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمد ﷺ.

يقول لك رحمه الله تعالى: إذا قال لك قائل، ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها، فقل معرفة العبد، ربه، ودينه، ونبيه، محمداً ﷺ.

والدليل على وجوب العلم بذلك من السنة: حديث البراء رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ مستقبل القبلة، وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكث في الأرض، فجعل ينظر إلى السماء وينظر إلى الأرض، وجعل يرفع بصره ويخفضه ثلاثاً فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثاً، ثم قال: (أن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه

ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس المطمئنة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها، وفي رواية: حتى إذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وفتحت له أبواب السماء ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قبلهم، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط فذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٦١]. ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون يعني بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمون بها في الدنيا، حتى ينتهوا إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى تنتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝﴾ [المطففين: ١٩-٢١]. فيكتب كتابه في عليين، ثم يقال: أعيدوه إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فيرد إلى الأرض، وتعاد روحه في جسده قال: فإنه يسمع خفق نعال أصحابه

إذا ولو عنه مدبرين، فيأتيه ملكان شديد الانتهار فينتهرانه ويجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ فيقولان له وما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينتهره فيقول: من ربك ما دينك وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن فذلك حين يقول الله ﷻ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، فينادي منادٍ في السماء أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا عليه باباً إلى الجنة. قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه وفي رواية: يمثل له رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له وأنت فبشرك الله بخير، من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح، فو الله ما علمتك إلا كنت سريعاً في طاعة الله، بطيئاً في معصية الله، فجزاك الله خيراً. ثم يفتح له باب من الجنة وباب من النار، فيقال: هذا منزلك لو عصيت الله أبدلك الله به هذا، فإذا رأى ما في الجنة قال: رب عجل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلي ومالي فيقال له: اسكن.

قال: وإن العبد الكافر وفي رواية الفاجر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة غلاظ شداد سود الوجوه معهم

المسوح من النار، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبلول، فتقطع معها العروق والعصب، فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وتغلق أبواب السماء ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قبلهم، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

فيقول الله ﷻ اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، ثم يقال: أعيدوا عبدي إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، فتطرح روحه من السماء طرحاً حتى تقع في جسده ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١]. فتعاد روحه في جسده قال: فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه، ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟

فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: فما في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه فيقال: محمد فيقول: هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون ذاك قال: فيقال: لا دَرَيت ولا تَلَوت فينادي مناد من السماء أن كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه وفي رواية: ويمثل له رجل قبيح الوجه قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: وأنت فبشرك الله بالشر من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث فو الله ما علمتك إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله سريعاً على معصية الله، فجزاك الله شراً. ثم يقيض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان تراباً فيضربه ضربةً حتى يصير بها تراباً، ثم يعيده الله كما كان فيضربه ضربةً أخرى فيصيح صيحةً يسمعه كل شيء إلا الثقلين، ثم يفتح له باب من النار، ويمهد من فراش النار، فيقول: (رب لا تقم الساعة). رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني.

وقال أبو العالية كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون، ما ذا كنتم تعبدون وما ذا أجبتم المرسلين؟.

وقال رحمه الله فإذا قيل لك من ربك؟ فقل ربي الله الذي رباني وربي جميع العالمين بنعمه، وهو معبودي ليس لي معبود سواه والدليل قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝﴾ [الفاتحة: ١]. وكل من سوى الله عالم وأنا واحد من ذلك العالم.

قوله رحمه الله: (إذا قيل لك من ربك): أي من إلهك الذي تعبد، وليس المقصود من خلقك ورزقك، هذا قد أعترف به المشركون، لكن معناه من إلهك الذي تعبد، فقل ربي الله، والله، هو المألوه المعبود، فمعنى الإله، هو الذي تأله القلوب، محبة وإنابة ورجاء وتوكلاً وغير ذلك، والله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وأعرف المعارف اسم (الله) جل جلاله، وهذا الاسم من خصائص الله ﷻ: ولا يشاركه فيه أحد، بحق.

فمثلاً اسم، الرحيم، يسمى فيه الخالق، ويجوز للمخلوق. قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾ [النحل: ٧].

وقال في صفة النبي ﷺ ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

أما اسم الله فلا يجوز لأحد أن يتسمى به، ولا يستحقه إلا الله جل جلاله.

وقوله الذي رباني: يعني: الله الذي رباني، وربى جميع المخلوقات، من الإنس والجن من مؤمن وكافر، من يعقل ومن لا يعقل، فالله سبحانه هو الذي أوجدهم من العدم ورباهم بالنعم.

قال الله تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾ [هود: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ الآية. [الأنعام: ٣٨].

وتربية الله لعباده، خاصة وعامة، كما أن رزقه سبحانه، خاص، وعام فمن

هداه الله للإسلام، والعمل به فقد حصلت له التربية، الخاصة، والعامة: ورزق، رزقاً خاصاً وهو رزق القلوب: ورزقاً عاماً وهو رزق الأبدان.

وأما التربية العامة، والرزق العام، فهو لجميع العالمين، المؤمن منهم والكافر، الذي يعقل ومن لا يعقل.

ولا يطلق (الرب معرفا) الأعلى الله ﷻ وحده.

قوله العالمين: قيل لا يسمى من العالمين، إلا من يعقل، وقيل هم من يعقل ومن لا يعقل. كما في قوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٤].

وقوله رحمه الله تعالى وهو معبودي ليس لي معبود سواه: أي أني أعبد الله وحده وأخلص له العبادة وحده وليس لي معبود سواه أي لا أعبد أحدا سوى الله ﷻ. وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ الألف واللام لاستغراق جميع المحامد، الحمد هو الثناء مع المحبة والتعظيم وإلا يكون مدحاً لا حمدا.

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١].

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾﴾ [الكهف: ١]. وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية [فاطر: ١].

وقوله رحمه الله تعالى: وكل ما سوى الله عالم، وأنا واحد من ذلك العالم: أي أن كل ما في السموات والأرض وما بينهما عالم سوى الله ﷻ، كما في حديث فضل لا إله إلا الله **«لو أن السموات والسبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفه، ولا إله إلا الله في كفه رجحت بهن لا إله إلا الله»**.

وقوله: (وأنا واحد من ذلك العالم) أي قل (وأنا واحد من ذلك العالم) الذين أنعم الله عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة ورباهم ورزقهم. والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه لا نحصي ثناء عليه.

قال رحمه الله تعالى فإذا قيل لك بم عرفت ربك؟ فقل بآياته ومخلوقاته ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾، ومن مخلوقاته السموات السبع، والأرضون السبع، ومن فيهن وما بينهما، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: ٣٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقوله رحمه الله فإذا قيل لك بم عرفت ربك: أي لو قال لك قائل ذلك، فقل أعرفه سبحانه بآياته ومخلوقاته: وآياته من مخلوقاته، لكن الآيات فيها زيادة عبرة.

ولذا أقسم الله بها في القرآن فهذا يدل على أهميتها وزيادة العبرة فيها. كقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝﴾ [الشمس: ١-٢]. وقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝﴾ [الليل: ١-٢]. أجل لا شك أن التأمل والتفكر في هذه الآيات مما يزيد به الإيمان.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [الجاثية: ٣]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ [النحل: ٦٦].

كما قال بعضهم تفكر ساعة أحب إلى من قيام ليلة. والأعرابي لما قيل له بم عرفت ربك قال: إن البعرة، لتدل على البعير، وأن أثر الأقدام، ليدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج. ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير.

وقد بين الله تعالى الآيات بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۝ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝﴾ [يس: ٣٧-٤٠].

ولا ريب أن الإنسان مفطور، على معرفة ربه والإقرار به سبحانه، ولكنه بهذا التفكر يزداد إيمانه. كما روت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لقد أنزلت علي الليلة آيات ويل لمن قرأهن ولم يتفكر فيهن قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ

ﭐﻟﻠَّﻪَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠- ١٩١]. وقد ذكر هذا الحديث في صحيح الترغيب والترهيب للألباني.

والنبي ﷺ كان يقرأها إذا قام من آخر الليل.

وهذا التفكر يقوي ما فطر عليه الإنسان.

كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

كما في الحديث القدسي: عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: أَلاَ إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا: كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلاَلٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا. رواه مسلم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال: النبي ﷺ مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ. رواه البخاري.

ومع ما فطر العباد عليه فإن التفكر في هذه المخلوقات يقوي إيمان العبد بأن لهذا الكون مدبراً ومسخراً ومصرفاً فإن هذه آيات عظيمة، تطلع الشمس من المشرق ثم تغرب من المغرب ويأتي الليل ثم يذهب ويأتي النهار.

قال تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ ﴾ [التكوير: ١٥-١٨].

وقال الله تعالى: ﴿ كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ۝٣٢ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ۝٣٤ ﴾ [المدثر: ٣٢-٣٤]. فأقسم تعالى بالقمر وبالليل، وقت إدباره، وبالنهار وقت إسفاره، لاستكمال المذكورات، على آياته العظيمة الدالة، على كمال قدرة الله وحكمته، وسعت سلطانه وعموم رحمته، وإحاطة علمه.

وقال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥٨ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ ﴾. أي إلى جراءته وتجاهله، وعناده ومحاجته، فيما لا يقبل التشكيك وما حمله على ذلك إلا أن أتاه الله الملك فطغى وبغى ورأى نفسه مترئسا على رعيته فحمله ذلك على، أن حاج إبراهيم، في ربوبية الله، فزعم أنه يفعل كما يفعل الله، فقال إبراهيم، ربي الذي يحيي ويميت، وبأنواع التصرف وخص منه الإحياء والإماتة لكونهما أعظم التدابير، ولأن الإحياء مبدأ الحياة الدنيا، والإماتة مبدأ ما يكون في الآخرة، فقال المحاج أنا أحيي وأميت، ولم يقل أنا الذي أحيي وأميت، لأنه لم يدع الاستقلال بالتصرف وإنما زعم أنه يفعل كفعل الله ويصنع صنعه فزعم أنه يقتل شخصاً فيكون قد أماته، ويستبقي شخصاً فيكون قد أحياه، فلما رآه

إبراهيم يغالط في مجادلته، ويتكلم بشيء لا يصلح أن يكون شبهة، فضلاً عن كونه حجة، أطرد معه في الدليل، فقال: إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق، أي عيانا يقر به كل أحد، حتى ذلك الكافر، فأت بها من المغرب، وهذا إلزام له يطرد، دليله إن كان صادقاً في دعواه، فلما قال له أمراً لا قوة له في شبهة، تشوش دليله: ولا قادحاً يقدح في سبيله بهت الذي كفر أي تحير فلما يرجع إليه جواباً وانقطعت حجته وسقطت شبهته، وهذه حالة المبطل المعاند الذي يريد أن يقاوم ويغالب فإنه مغلوب مقهور فلذلك قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥٨﴾.

بل يبقيهم على كفرهم وضلالهم، وهم الذين اختاروا لأنفسهم ذلك، وإلا فلو كان قصدهم الحق والهداية لهداهم إليه ويسر لهم أسباب الوصول إليه، ففي هذه الآية برهان قاطع على تفرد الرب بالخلق والتدبير، ويلزم من ذلك أن يُفردَ بالعبادة والإنابة والتوكل عليه في جميع الأحوال قال ابن القيم رحمه الله: في هذه المناظرة نكتة لطيفة جداً وهي أن شرك العالم إنما هو مستند إلى عبادة الكواكب والقبور ثم صورت الأصنام على صورها فتضمن الدليلان اللذان استدل بهما إبراهيم إبطال إلهية تلك جُملة: بأن الله وحده هو الذي يحيي ويميت ولا يصلح الحي الذي يموت للإلهية لا في حال حياته ولا بعد موته، فإن له رباً قادرا قاهراً متصرفاً فيه، إحياءً وإماتةً ومن كان كذلك فكيف يكون إلها حتى يتخذ الصنم على صورته ويعبد من دونه وكذلك الكواكب أظهرها وأكبرها، للحس هذه الشمس، وهي مربوبة مدبرة مسخرة، لا تصرف لها

بنفسها بوجه ما، بل ربها وخالقها سبحانه يأتي بها من مشرقها، فتنقاد لأمره ومشيئته فهي مربوبة مسخرة مدبرة، لا إله يعبد من دون الله. انتهى من مفتاح دار السعادة.

قال رحمه الله تعالى والرب هو المعبود: والدليل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة).

قوله رحمه الله تعالى: (والرب هو المعبود): أي الذي يستحق العبادة. هو ربنا سبحانه فإنه جل وعلا. هو الذي أوجدنا من العدم وربانا بالنعم ففي هذه الآية الاحتجاج على المشركين، فيما أقروا به لله وحده، على ما جعلوا له فيه شريكاً تعالى الله وتقدس، فإن المشركين مقرون بأن الله تعالى، هو الذي خلقهم وحده، ورزقهم وحده، فإنهم أقروا بتوحيد الربوبية وأشركوا بتوحيد الألوهية.

وفي ذلك كلمة جامعة للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله. وهي (الرب واحد في أفعاله، فوحده في أفعالك) فتوحيد الربوبية، هو توحيد الله بأفعاله، مثل الخلق والرزق، والتدبير والإحياء والإماتة. وغير ذلك.

وأما توحيد الألوهية: فهو توحيد الله في أفعال العباد مثل الدعاء والتوكل والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة. وهو قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾ [البقرة: ٢٢].

ما معنى تعلمون. الجواب. يعلمون أن الله خلقهم وحده، ورزقهم وحده.

وهذا معنى الرب واحد في أفعاله فوحده في أفعالك. أي في عبادتك. كالدعاء لا تقل يا فلان الميت، الغوث الغوث: ثم استدل رحمه الله تعالى على قوله الرب هو المعبود. بهذه الآية. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

وهذا أمر عام لكل الناس بأمر عام وهو العبادة الجامعة لامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه. وإفراده بالعبادة واجتناب الشرك.

ثم استدل على وجوب عبادته وحده، بأنه ربكم الذي رباكم، بأصناف النعم، فخلقكم بعد العدم، وخلق الذين من قبلكم، وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة، فجعل لكم الأرض فراشا تستقرون عليها وتنتفعون بالأبنية، والزراعة، والحراثة، والسلوك من محل إلى محل، وغير ذلك من أنواع الانتفاع بها وجعل السماء بناء لمسكنكم، وأودع فيها من المنافع، ما هو من ضروراتكم، وحاجاتكم كالشمس والقمر والنجوم. قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ ﴾. كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ ﴾ [الأنعام: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ ﴾. وقوله تعالى: ﴿ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾. كالحبوب والثمار من نخيل وفواكه (وزروع) وغيرها. قال: ﴿ رِزۡقٗا لَّكُمۡ ﴾. به ترتزقون وتقوتون وتعيشون وتفكهون قال: ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ

أَندَادًا﴾. أي نظراء وأشباها من المخلوقين فتعبدونهم كما تعبدون الله وتحبونهم كما تحبون الله، وهم مثلكم مخلوقون مرزوقون، مدبرون، لا يملكون مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض، ولا ينفعونكم ولا يضرون قال: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أن الله ليس له شريك، ولا نظير، لا في الخلق والرزق، والتدبير ولا في العبادة، فكيف تعبدون معه آلهة أخرى، مع علمكم بذلك؟ هذا من أعجب العجب وأسفه السفه.

وهذه الآية جمعت بين الأمر بعبادة الله، وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، وبيان الدليل الباهر على وجوب عبادته، وبطلان عبادة ما سواه وهو ذكر توحيد الربوبية المتضمن لانفراده بالخلق والرزق، والتدبير، فإذا كان كل احد مقراً، بأن ليس له شريك في ذلك، فكذلك فليكن إقراره بأن الله لا شريك له في العبادة.

وهذا أوضح دليل عقلي، على وحدانية الباري، وبطلان الشرك.

قال ابن كثير رحمه الله: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة: والعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وهذا من أحسن ما عرفت به العبادة.

وقال رحمه الله تعالى: وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام، والإيمان، والإحسان. ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها، كلها لله تعالى. والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ٨].

فمن صرف منها شيئا لغير الله، فهو مشرك كافر.

والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وفي الحديث (الدعاء مخ العبادة). والدليل قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠].

وقوله رحمه الله تعالى: وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل (الإسلام والإيمان والإحسان): هذه مراتب الدين التي سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى مفصله من كلامه رحمه الله موضحاً أركانها وأدلتها، ثم ذكر رحمه الله أنواع العبادة مجملة فقال ومنها الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى يعني لا يجوز صرفها لغير الله لقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن: ١٨].

فمن صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله فهو مشرك كافر. واستدل بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وقوله لا برهان له به: فليس له برهان على عبادة غير الله وأنى له البرهان، وهذا من مفهوم المخالفة الذي لا مفهوم له وأجل هذه الأنواع وأعظمها

الدعاء بل هو العبادة كما ورد في الحديث الدعاء هو العبادة وقال ﷺ وقال ربكم: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

والدعاء على أنواع:

الأولى دعاء الله: وهو نوعان دعاء عبادة ودعاء مسألة:

١ - **دعاء عبادة**: نحو (لا إله إلا الله) وسبحان الله وهو مستلزم لدعاء المسألة.

٢ - **دعاء المسألة**: نحو اللهم ربي اغفر لي، وهو متضمن لدعاء العبادة، يدل على هذا حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: **قال موسى: يا رب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به. قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله. قال: يا رب، كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى لو أن السموات السبع وعامرَهُنّ غيري والأرضيين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهنّ لا إله إلا الله.** رواه ابن حبان والحاكم وصححه.

نعم دعاء المسألة: هو طلب ما ينفع من جلب نفع أو دفع ضر. فأن المعبود لا بد أن يكون مالكاً لذلك، ولذلك أنكر الله على من عبد، ما لا يملك ضراً ولا نفعاً.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦].

أما دعاء العبادة: فهو ما لم يكن فيه صيغة سؤال وطلب، وهما متلازمان وقد أمر الله عباده، بدعائه سبحانه وسؤاله، بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

وفي الحديث الذي أخرج أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه عن سلمان الفارسي عن النبي ﷺ قال: إن ربكم حيّ كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً.

وفي الحديث عنه ﷺ قال: «من لم يسأل الله يغضب عليه». رواه الترمذي.

النوع الثاني دعاء غير الله مع الله فيما هو من خصائص الله: وهذا من الشرك الأكبر والذنب الذي لا يغفر لمن مات عليه، وهو دعاء الأموات وسؤالهم تفريج الكربات وإزالة الشدائد وطلبهم وسؤالهم أن يكونوا وسطاء بينهم وبين الله تعالى وشفعاء.

كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر: ٣].

ودعاء الغائبين والشياطين، ومن في حكم الغائبين، من الجن والملائكة، ونحوهم من الشرك الأكبر.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف: ٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت: ١٧].

ففي الآية أن طلب الرزق لا يبتغى، إلا من الله سبحانه. كما أن الجنة لا تطلب إلا منه سبحانه.

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سبأ: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأعراف: ٣٧].

فقد دلت هذه الآيات على أن دعاء الميت والغائب والحاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله، والاستغاثة بغير الله، في كشف الضر أو تحويله، هو الشرك الأكبر.

وقد ذكر شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، من نواقض الإسلام من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة كفر إجماعاً.

مسألة:

أما طلب الشافعة، فأن الشفاعة، شفاعتان: شفاعة مثبتة أي جائزة، وشفاعة منفية أي لا تجوز.

الأولى الشفاعة المنفية: لا تجوز وهي طلب الشفاعة من الأموات كأن يقول يا رسول الله: اشفع لي يطلب منه، بعد موته، هذا لا يجوز، لأنه دعاء لغير الله، ودعاء غير الله من الشرك الأكبر، ولأن الصحابة ﷺ، لما مات الرسول ﷺ لم يسألوه شيئا، ولم يدعوه، بل عدلوا عن طلب الدعاء، منه إلى دعاء، الحي، الحاضر وهو العباس ﷺ، أن يستسقي لهم.

الثانية الشفاعة المثبتة: أي الجائزة وهي التي تطلب من الله، كأن يقول الإنسان اللهم شفع فيّ نبيك، وعبادك الصالحين، هذه شفاعة مثبته لأنها جائزة والله أعلم.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله: الشفاعة المثبتة هي التي تطلب من الله والشافع مكرم بالشفاعة، والمشفوع له من رضي الله، قوله وعمله بعد الإذن.

والشفاعة المنفية: ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

مسألة:

وأما قصد دعاء الله وسؤاله، عند القبور، فغير جائز لأنه من وسائل الشرك الأكبر، ولأنه لم يرد أن دعاء الله، عن القبور مرغب فيه، ولا أنه من مواطن استجابة الدعاء، فلا يجوز قصد الدعاء عندها، بخلاف ما إذا أتى المقبرة، وسلم على أهل القبور.

كما في حديث أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبُرَةَ فَقَالَ: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقُونَ».

نعم إذا زار قبر والده أو غيره ثم سلم عليه ودعا له بالمغفرة، والرحمة، هذا فعل جائز لا بأس به.

مسألة:

والتوسل بالذوات وبجاه الأنبياء والمرسلين والصالحين لا يجوز لأنه بدعة. أما التوسل بالأعمال الصالحة، فإنه جائز. كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [آل عمران: ١٦].

وكما جاء في صحيح البخاري: عن عبدالله بن عُمر بن الخطَّاب رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثةُ رهْطٍ ممَّن كان قبلكم، حتَّى أوَوا المبيتَ إلى غارٍ فدخلوه، فانحدرتْ صخرةٌ من الجبل فسدَّت عليهم الغار، فقالوا: إنَّه لا يُنجيكم من هذه الصَّخرة إلاَّ أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجُل منهم: اللَّهُمَّ كان لي أبوانِ شيْخان كبيران، وكنت لا أغْبِق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي في طلب شيءٍ يومًا فلم أرُح عليهما حتَّى ناما، فحلبتُ لهُما غبوقهما فوجدتُهما نائمَين، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثْتُ والقدح على يدي أنتظر استيقاظَهُما حتَّى برق الفجْر، فاستيْقظا فشربا غبوقَهما، اللَّهُمَّ إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتِغاء وجْهك، ففرِّج عنَّا ما نحن فيه من هذه الصَّخرة، فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج»، قال النَّبي ﷺ: وقال الآخَر: «اللَّهُمَّ كانتْ لي بنتُ عمٍّ، كانت أحبَّ النَّاس إليَّ، فأردتُها عن نفسِها، فامتنعتْ منِّي حتَّى ألَمَّت بها سَنةٌ من السنين، فجاءتْني فأعطيتُها عشرين ومائة

دينار على أن تُخلي بيْني وبين نفسها، ففعلتُ، حتَّى إذا قدرتُ عليْها قالت: لا أحلّ لك أن تفضّ الخاتم إلاَّ بحقّه فتحرَّجت من الوقوع عليْها، فانصرفتُ عنها وهي أحبُّ النَّاس إليَّ، وتركت الذَّهب الَّذي أعطيتُها، اللَّهُمَّ إن كنتُ فعلت ابتغاء وجهك، فأفرج عنَّا ما نحن فيه، فانفرجت الصَّخرة غير أنَّهم لا يستطيعون الخروج منها»، قال النَّبيُّ ﷺ: «وقال الثَّالث: اللَّهُمَّ إنِّي استأجرتُ أُجراءَ فأعطيتُهم أجرَهم غير رجُل واحدٍ ترَك الَّذي له وذهب، فثمَّرت أجْرَه حتَّى كثُرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله، أدِّ إليَّ أجْري، فقلتُ له: كلُّ ما ترى من أجرك، من الإبل والبقر والغنم والرَّقيق، فقال: يا عبد الله، لا تستهزئْ بي، فقلت: إنِّي لا أستهزئُ بك، فأخذه كلَّه فاستاقَه، فلم يترك منه شيئًا، اللَّهُمَّ فإن كنت فعلتُ ذلك ابتِغاء وجْهك، فافرجْ عنَّا ما نحن فيه، فانفرجتِ الصَّخرة، فخرجوا يَمشون».

هؤلاء الثلاثة الذي انطبقت عليهم الصخرة كل واحد منهم توسل بعمله الصالح، هذا جائز.

وبهذا يتبين لك أن التوسل بالأعمال الصالحة جائز. وإنما المنهي عنه هو. التوسل بالذوات والجاه.

مسألة:

وأما طلبك من إنسان حي حاضر يدعوا الله لك فهذا لا بأس به كما ورد في الحديث: عَنْ عبدالله بن عمرو العاص، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ أَسْرَعَ الدُّعَاءِ إِجَابَةً دَعْوَةُ غَائِبٍ لِغَائِبٍ». رواه أبو داود.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ دَعَا لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ». أخرجه مسلم.

قال رحمه الله: (ودليل الخوف) قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥].

قوله رحمه الله ودليل الخوف أي الدليل على أن الخوف من الله عبادة أن الله تعالى أمر بالخوف منه بقوله: (فلا تخافوهم وخافوني).

ورغب في الخوف منه سبحانه بقوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦].

وقال سبحان وتعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [النازعات: ٤٠].

فالخوف من الله تعالى عبادة، ولا يجوز للإنسان أن يعبد الله، بالخوف وحده، فإن كمال العبادة الواجب، أن يعبد الله محبة له سبحانه، وخوفاً منه، ورجاءً له، لأن مبنى العبادة: على هذه الثلاث، المحبة، والخوف، والرجاء، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ فإن فيها المحبة لله ﷻ، وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ فيها الرجاء، وقوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ فيها الخوف من الله ﷻ. فمن عبد الله بالخوف وحده، فهو من الحرورية والخوارج، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو من المرجئة، ومن عبدالله بالمحبة وحدها، فهو من الصوفية المذمومة.

والحق أن يعبد العبد ربه، خوفاً ورجاء ومحبة. يعبد الله خوفاً منه، ورجاءً له ومحبة له. فمثلاً المسلم يتوضى طاعة لله، مع حبه جلا وعلا، واتباعاً لرسوله ﷺ، مع حبه راجياً ثواب ذلك من الله ﷻ، خائفاً من عقاب الله وعذابه.

والخوف الصحيح هو الذي يحمل الإنسان على فعل الطاعات مع رجاء قبولها وموعودها، وترك المنهيات، خوفاً من الله، وأليم عقابه وعذابه، فالخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه، وبين محارم الله ﷻ، فإذا تجاوز ذلك خيف من اليأس والقنوط.

النوع الثاني خوف السر وهو من الشرك الأكبر: وهو ما يحصل بالقلب من الخوف من الموتى، وهذا صرف للعبادة لغير الله، مثال ذلك ما يعتقده بعض من يلوذ بأضرحة الموتى، ويخاف منها ويتقرب إليها، من خوفه منهم ويزعم أنه لا بد أن يذهب إلى ضريح هذا الولي ويتقرب إليه فإنه إن لم يذهب إليه يخاف منه أن يصيبه بشيء بنفسه وأولاده، فهذا النوع شرك أكبر.

قال الله ﷻ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِىَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الزمر: ٣٨].

وهذا يوجد في كثير من الأمصار والبلدان التي تدعي الإسلام وتزعم ذلك، يوجد عندهم قبور يخافونها خوف السر: إذا دخل أحدهم القرية لا يتجاوزها، حتى يذهب إلى قبر السيد، لئلا يحصل عليهم شيء يكرهونه، كما

هو موجود في كثير من البلاد التي تزعم الإسلام. أسأل الله أن ييسر إزالة هذه الأصنام والأوثان والأضرحة، التي تعبد من دون الله وأن يقيض لها من يزيلها، ويجدد ملة إبراهيم، عليه الصلاة والسلام فيهم.

النوع الثالث خوف محرم: وهو ترك ما يقدر عليه من إنكار المنكر، وقول الحق من غير ضرر عليه، إنما ترك إنكاره خشية الناس، فهذا الفعل محرم لقول النبي ﷺ: **«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»**. رواه مسلم.

والحديث أنه جل وعلا يسأل العبد يوم القيامة حتى إنه ليقول له ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره؟.

كما في حديث أبي سعيد أن الله تعالى ليسأل العبد يوم القيامة حتى يسأله ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره فإذا لقن الله العبد حجته قال يا رب رجوتك وفرقت من الناس. صحيح الجامع صححه الألباني.

وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، أيضا بلفظ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَا يُحَقِّرَنَّ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ أَنْ يَرَى أَمْرًا لِلَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ مَقَالٌ، فَيَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى، فَيَقُولُ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ فِي كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: خَشْيَةُ النَّاسِ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: إِيَّايَ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَى»**، هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ ماجه مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ نُمَيْرٍ.

أما إذا كان يخاف من الضرب أو من السجن أو أخذ مال ونحوه، فهذا لا يجب عليه وإنما ينكر بحسب استطاعته.

كما في حديث: أبي سعيد ﷺ المتقدم.

النوع الرابع من انواع الخوف: الخوف الطبيعي: كالخوف من الأسد، والخوف من العدو: فمثل هذا الخوف، مباح لأنك تخاف من حي، حاضر، قادر عليك، وطبيعة الإنسان يخاف من عدوه، ويخاف من السبع وهذا ليس من الشرك.

وقال رحمه الله تعالى: ودليل الرجاء قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

قوله رحمه الله تعالى: ودليل الرجاء: أي الدليل على أن رجاء الله عبادة يحبها الله ﷻ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٧].

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾﴾ [العنكبوت: ٥].

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ يقول الله تعالى: **«أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»**. رواه البخاري ومسلم.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل». رواه مسلم.

والرجاء ثلاثة أنواع: نوعان محمودان ونوع مذموم:

فالمحمودان: رجل عمل بطاعة الله، على نور من الله، فهو راج لثواب الله، ورجل أذنب ذنوباً ثم تاب منها، فهو راج لمغفرة الله تعالى، وعفوه وإحسانه، وجوده وحلمه وكرمه.

الأول رجاء العاملين: الذين عملوا أعمالاً صالحة ورجوا الله أن يتقبل منهم الأعمال الصالحة، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝٦٠ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ۝٦١﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١].

عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾: قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: **«لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ»**. رواه الترمذي.

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢١٨﴾ [البقرة: ٢١٨].

وهذه الآية أوضح الآيات على أن المؤمن يعمل، ويرجوا رحمة الله، هؤلاء آمنوا وهاجروا، وجاهدوا، ومع ذلك لم يعجبوا بأعمالهم، بل إنهم يرجون رحمة الله، هذا هو رجاء العاملين.

الثاني رجاء التائبين: وهو رجاء صحيح، كمن أسرف على نفسه بالذنوب والمعاصي، وتاب إلى الله ورجع إلى الله وأناب ويرجوا، أن الله يتقبل توبته، كما وعد بقوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

كما جاء في الحديث الصحيح الطويل: عن أبي سعيد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: «**كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب. فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم أي حكما فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتها كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة**». متفق عليه.

فمثل هذا، الذين تابوا إلى الله ويرجون الله أن يقبل توبتهم، فرجاؤهم رجاء صحيح.

الثالث الرجاء المذموم: وهو الرجاء الفاسد، وهو رجاء الذي ليس مع العاملين، ولا مع التائبين، وإنما هو مع المتمنين كما جاء في الحديث عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني»**. رواه الترمذي.

فمثل هذا رجاؤه رجاء فاسد والذي يوضح هذا المثال التالي: يوضح الرجاء الصحيح والرجاء الفاسد فهو كمثل رجل اشترى أرضا، وحفر فيها بئراً، واخرج الماء وغرس، فيها النخل والأشجار، وجعل يسقي هذه الأشجار، ومرّ به إنسان، وقال له لم تفعل هذا قال: أرجوا أن تثمر هذه النخيل والأشجار، فآكل وأطعم وأبيع. فيا ذا نقول لهذا الرجل، نقول له نرجو من الله أن لا يخيب سعيك، وعملك وأن يعطيك ما رجوت، لأنك عملت واجتهدت وبذلت الأسباب. فمثل هذا لا يخيب. فهذا مثل الرجاء الصحيح. رجاءُ العاملين ورجاءُ التائبين.

أما مثل الرجاء الفاسد: وهو كمثل رجل مرَّ بأرض ليست له فاضطجع فيها أو جلس فيها، فمرَّ به إنسان، وقال له لماذا أنت جالس في هذا المكان، قال ارجوا أن يكون في هذه الأرض ماء ونخل وشجر فآكل منه وأبيع فقال له سامله، إنك قلت قولاً عجباً كيف ترجوا هذا، وأنت لم تحفر بئراً، ولم تخرج

ماءً ولم تغرس شجراً، فقال له إن الله على كل شيء قدير، قال له سامله حق، إن الله على كل شيء قدير، لكن أمرك الله بفعل الأسباب، والسعي فيها فيما يصلحك، كما قال النبي ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير. أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز. وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، ما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»**. رواه مسلم.

وعن، أنس بن مالك رضي الله عنه يقول كان نبي الله ﷺ يقول **«اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»**. رواه البخاري.

فبهذا تعلم أن العاجز، من هذا النوع يعتبر من المتمنين وليس من الراجين، لأن الراجي يعمل ويرجوا، والمتمني يعجز ويكسل، ولا يعمل ويتمنى: فهذا مثل الرجاء الفاسد.

أما النوع الثاني من أنواع الرجاء: فهو رجاء المخلوق، فيما لا يقدر عليه إلا الخالق، وهو رجاء الأموات هذا من الشرك الأكبر، كمن يأتي إلى صاحب ضريح ميت يقول له أرجو منك كذا، ومنك كذا، هذا الرجاء شرك في العبادة، شرك أكبر.

أما النوع الثالث من أنواع الرجاء: وهو الرجاء المباح وهو رجاء المخلوق، فيما يقدر عليه، إذا كان حياً، حاضراً، قادراً، من الإنس، فهذا لا بأس به.

قال رحمه الله: ودليل التوكل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣]. وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

قوله رحمه الله: ودليل التوكل: أي الدليل، على أن التوكل، على الله تعالى عبادة، إن الله أمر بالتوكل عليه، فصرفه لغيره لا يجوز، لأنه من الشرك.

والتوكل على الله تعالى: هو اعتماد وتفويض الأمر، إلى الله تعالى، وهو عبادة قلبية، ولا يجوز صرفه إلا لله وحده، كما أنك لا يجوز لك أن تسجد لغير الله، كذلك لا يجوز لك أن تتوكل على غير الله لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣].

وقال تعالى لرسوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الملك: ٢٩]. وقال لرسوله ﷺ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النمل: ٧٩]. وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

نعم الاعتماد على الأسباب شرك في التوحيد، وترك الأسباب قدح في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل.

فعمل الأسباب دلت عليه النصوص مع الاعتماد على الله تعالى:

وفي الحديث: عن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا» رواه الإمام

أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم، وقال الترمذي: حسن صحيح صححه الألباني.

ففي هذا الحديث أنها تغدوا لطلب الرزق مع أنه قال حق توكله.

وفي الحديث أن التداوي لا ينافي التوكل. كما في حديث أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ قَالَ: قَالَتِ الأَعْرَابُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلا نَتَدَاوَى، قَالَ: «نَعَمْ يَا عِبَادَ اللهِ تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً، إِلا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً أَوْ قَالَ دَوَاءً إِلا دَاءً وَاحِدًا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُوَ قَالَ: «الْهَرَمُ». رواه احمد وابن ماجه.

وقال ابن القيم رحمه الله بعد كلام له: بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب، التي نصبها الله تعالى مقتضية لمسبباتها قدراً وشرعاً. ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب. وإلا كان معطلاً للمحكمة، والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلاً. ولا توكله عجزاً.

فالتوكل لا ينافي القيام بالأسباب فلا يصح التوكل، إلا مع القيام بها وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد.

قال ﷺ: «وجعل رزقي تحت ظل رمحي». رواه أحمد وإسناده صحيح.

وبهذا تعلم أنه لابد من فعل الأسباب، مع تحقيق التوكل على الله، وقد جاء في تحقيق التوحيد والتوكل، فضل عظيم.

كما في حديث «السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون».

النوع الثاني من التوكل: وهو التوكل على المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله الخالق، كالتوكل على الأموات، في تفريج الكربات، وتيسير الأرزاق ونحو ذلك، فهذا شرك أكبر يخرج من الملة لأنه صرف العبادة لغير الله، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت: ١٧].

كما يذكر عن بعضهم أنه صلّى الفجر وتعبد إلى طلوع الشمس، فلما طلعت الشمس، التفت إلى جهة قبر يعظمه وقال رزقي عليك اليوم يا صاحب طنطا، هذا القائل أشرك ولو صلى الفجر وحافظ على الصلاة.

النوع الثالث التوكل على المخلوق، فيما يقدر عليه: هذا محرم: لأن التوكل لا يجوز صرفه إلا لله وحده: وهو شرك أصغر وليس أكبراً، لأنه يقدر عليه، لكن صار من الشرك الأصغر، لأنه لا يجوز التوكل إلا على الله وحده، ولهذا قال أهل العلم: لا يجوز للإنسان أن يقول توكلت على الله ثم عليك، بل يجب أن يقول توكلت على الله وحده، بينما الرجاء يجوز له أن يقول أرجو الله، ثم أرجوك، واستعين بالله، ثم بك أو أستعيذ بالله، ثم بك يجوز فيه (ثم) **أما التوكل فلا يجوز فيه (ثم)** كالسجود فإنه عبادة لله وحده، والذبح عبادة لله وحده، والتوكل عبادة لله وحده، لا يجوز أن تسجد لله، وتسجد لغيره، فكذلك لا يجوز أن تتوكل عليه، وتتوكل على غيره.

النوع الرابع، التوكيل، وليس التوكل: وهو أن توكل شخصاً، يقضي لك الحاجة، هذا أمر مباح، تقول له وكلتك في قضاء هذه الحاجة، أو وكلت الأمر إليك، مع اعتماد القلب على الله وحده. فالتوكل من عمل القلب لله وحده. وأما التوكيل فهو من عمل الجوارح.

قال رحمه الله ودليل الرغبة والرهبة والخشوع: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

قوله رحمه الله تعالى: ودليل الرغبة والرهبة والخشوع: أي الدليل على إن الرغبة إلى الله، والرهبة منه والخشوع له، من العبادة التي يحبها الله تعالى، أن الله اثنى على من يفعل ذلك، فدل على أن هذه الأشياء، عبادة لله تعالى، والفرق بين الرغبة والرجاء أن الرجاء طمع، والرغبة طلب، فهي ثمرة الرجاء، فإذا رجاء الشيء طلبه، وأما الرهبة والخوف فألفاظ متقاربة غير مترادفة، فمن رغب إلى مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك.

أما إذا كان ليس من خصائص الله وإنما يقدر عليه المخلوق وهو حي حاضر فجائز وكذلك الرهبة من أنواع العبادة لأن الله جل وعلى أثنى على عباده بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وفي الرغبة والرهبة من الأنواع ما تقدم في الخوف والرجاء.

وأما الخشوع في أصل اللغة: الانخفاض والذل والسكون قال تعلى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [طه: ١٠٩].

أي سكنت وذلت وخضعت. والخشوع قيام القلب، بين يدي الرب، بالخضوع والذل والجمعية عليه سبحانه وتعالى.

فالخشوع هو كخضوع البدن، فكما أن البدن يخضع، فالقلب يخضع، وخضوعه هو خشوعه، وليس الخشوع هو البكاء فقط. إنما الخشوع أصله بالقلب. فإذا رق العبد وبكى، فهذا من أثر خشوع القلب.

ولما رأت عائشة ﵂ ناساً يتماوتون، في مشيهم قالت كان عمر بن الخطاب إذا قال أسمع، وإذا أطعم أشبع، وإذا ضرب أوجع وكان الناسك حقاً.

كما قال بعضهم إياكم وخشوع النفاق وهو أن ترى البدن خاشعا والقلب ليس خاشع.

أما الصحابة ﷺ فكانوا رهبانا في الليل أسوداً بالنهار، وذلك لما في قلوبهم من الخشوع لله فرقت قلوبهم وخشعت.

كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٢].

وقال تعالى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ [مريم: ٥٨].

فيحرص العبد إلى أن يجلب، الخشوع إلى قلبه، ويجاهد نفسه ويدعو ربه كما في الدعاء، اللهم أصلح سريرتي واجعل سريرتي خيراً من علانيتي ومن الصالحين من يكون خاشعاً وهو يبيع ويشتري وهو في متجره، أو حرثه أو زرعه، خاشعاً لله، ومن الناس من يكون في المسجد، ولكنه غافل معرض، وبهذا يتبين لك ما قال الرسول ﷺ، إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم.

قال رحمه الله تعالى: ودليل الخشية، قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٠].

قوله رحمه الله ودليل الخشية: أي الدليل على أن خشية الله عبادة، أمره سبحانه بالخشية، في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾. فدل على أن الله يجب أن يخشى فدل على أنها عبادة، فصرفها لغير الله شرك، والخشية تكون عن علم ومعرفة بالله، ولذلك خص بها العلماء لقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

فالعلماء يعرفون الله، بما علمهم الله وبما أعطاهم، ومنَّ عليهم من الحكمة، فتكون خشيتهم أشدَّ من غيرهم، كما قال ﷺ: **«أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم لله»** وكلما ازدادت معرفة العبد لربه، ازداد قرب العبد من ربه بالطاعات، ازدادت خشيته لربه ومحبته سبحانه وخوفه منه ورجاؤه له. كما قيل من كان بالله أعرف كان منه أخوف.

وقوله رحمه الله تعالى: ودليل الإنابة قوله تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ ﴾ [الزمر: ٥٤].

قوله رحمه الله تعالى ودليل الإنابة: قوله تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾. أي الدليل على أن الإنابة عبادة لله تعالى. أمره سبحانه بالإنابة إليه، والإنابة أخص من التوبة فصرف الإنابة والتوبة لغير الله شرك كمن ينيب ويتوب للأموات بأن يأتي إلى قبر وليّ بزعمه أو سيد، ويقول التوبة يا شيخ، وهو ميت، فهذا الفعل من الشرك بعبادة الله ﷻ.

وقال رحمه الله تعالى: ودليل الاستعانة قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾. [الفاتحة: ٥]. وفي الحديث «إذا استعنت فاستعن بالله».

ذكر الشيخ رحمه الله أيضا من أنواع العبادة الاستعانة: والاستعانة نوع من أنواع العبادة، لأن الله أمرنا بالاستعانة به فهو سبحانه يجب أن يستعان به لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ [الفاتحة: ٥].

وقال النبي ﷺ لابن عباس «إذا استعنت فاستعن بالله».

النوع الثاني الاستعانة: الاستعانة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله: كمن يستعين بميت، أو يستعين بحي حاضر، بشيء لا يقدر عليه إلا الله، وهو من خصائص الله، أو أن يستعين بالغائبين، ومن كان في حكم الغائبين، كالجن والملائكة فهذه الاستعانة من الشرك لأن ذلك من خصائص الله وصرف شيء من خصائص الله، لغير الله من الشرك الأكبر.

النوع الثالث الاستعانة بالحي، الحاضر، القادر: فهذه الاستعانة جائزة كمن يستعين بأحد معه، من الأنس على شيء يقدر عليه، وهو حي حاضر فهذا أمر مباح جائز ولا يدخل في المنهي عنه إنما المنهي عنه الاستعانة بالأموات والغائبين ومن في حكمهم.

فأنواع الاستعانة ثلاثة وهي كما يلي:

١. الاستعانة بالله تعالى: عبادة من أجل العبادات.

٢. الاستعانة بغير الله: فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك أكبر.

٣. الاستعانة بالحي، الحاضر، القادر: من الإنس جائزة.

وقال رحمه الله ودليل الاستعاذة: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١].

و قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١].

قوله رحمه الله تعالى ودليل الاستعاذة: أي الدليل على أن الاستعاذة بالله عبادة أن الله تبارك الله أمر بالاستعاذة به بقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾. وكان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين بهما.

وكان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يستعيذون بالله. كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ۝٢٧﴾ [غافر: ٢٧].

وكما في سورة يوسف قوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف: ٢٣].

وكما في سورة مريم قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ [مريم: ١٨].

وهذا مما يدل على فضل الاستعاذة بالله، واللجوء إلى الله قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨].

عن خولة بنت حكيم ﵂ قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنزِلاً ثُمَّ قال: أَعُوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ لَمْ يضرَّهُ شَيْءٌ حتّى يرْتَحِلَ مِنْ منزِلِهِ ذلكَ». رواه مسلم.

النوع الثاني: الاستعاذة بالمخلوق، فيما لا يقدر عليه إلا الخالق: كمن يستعيذ بالأموات ويلجأ إليهم، ومن كان في حكم الأموات، من الغائبين، من الجن والشياطين وهؤلاء لا يجوز الاستعاذة بهم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف: ٥]. وصرف العبادة لغير الله من الشرك الأكبر.

النوع الثالث الاستعاذة المباحة: وهي الاستعاذة بالمخلوق، الحي، الحاضر القادر من الإنس فهذا أمر مباح كما جاء في الحديث، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ «**ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه فمن وجد منها ملجأً أو معاذاً فليعذ به**». رواه البخاري.

كأن يقول الإنسان لأخيه أعذني من شر ولدك أو جارك، وما شابه ذلك، هذا أمر مباح.

أنواع الاستعاذة ثلاثة وهي كما يلي:

١. **الاستعاذة بالله عبادة** من أجل العبادات.

٢. **من الشرك الأكبر:** وهي الاستعاذة بالأموات والشياطين ومن كان في حكم الغائبين.

٣. **استعاذة مباحة:** وهي الاستعاذة بالمخلوق بالحي، الحاضر، القادر، من الإنس.

قال رحمه الله تعالى ودليل الاستغاثة: قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

قوله رحمه الله ودليل الاستغاثة: أي إن هذه الآية تدل على أن الله تعالى، يحب أن يستغاث به، فدل على أن الاستغاثة عبادة، فصرفها لغير الله من الشرك، والاستغاثة أخص من الدعاء، وهي نوع من الدعاء، إلا أنها لا تكون إلا من المضطر والمهموم. وفي حديث الاستسقاء أن النبي ﷺ قال: «**اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا**» الحديث. متفق عليه.

النوع الثاني من الاستغاثة: الاستغاثة بالأموات ونحوهم، كمن يقول لميت ما: الغوث الغوث، أو يا حسين الغوث الغوث وما شبه ذلك أو أغثني يدعو ميتاً أو غائباً، هذا من الشرك الأكبر والذنب الذي لا يغفر، إلا من تاب منه، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ٤٨].

النوع الثالث: الاستغاثة بالحي الحاضر القادر: بالحي، خرج الميت، وبالحاضر، خرج الغائب، ومن كان في حكم الغائب، من الملائكة والجن، والقادر، خرج بذلك استغاثة الإنسان بمخلوق بشيء لا يقدر عليه، إلا الخالق، فإذا كان كذلك، بحي، حاضر، قادر، من الإنس.

فهذا النوع جائز، كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ [القصص: ١٥].

قال رحمه الله تعالى: ودليل الذبح قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾ الآية [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]. ومن السنة لعن الله من ذبح لغير الله.

قوله رحمه الله ودليل الذبح: أي انه عبادة لله و الذبح هو إزهاق الروح، فإن فعل ذلك تقرباً إلى الله، وابتغاء مرضاته، فذلك من العبادات التي يحبها الله تعالى، لقوله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

نسكي: أي ذبحي لقوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾ [الكوثر: ٢].

وقال تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٧ ﴾ [الحج: ٣٧].

ولقوله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝٣٢ ﴾ [الحج: ٣٢].

قوله رحمه الله تعالى ومن السنة: عن علي ﷺ قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه. لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غير منار الأرض». رواه مسلم.

أنواع الذبح:

النوع الأول الذبح لله: الذبح لله عبادة عظيمة يحبها الله ﷻ ولذلك شرعت الأضحية، والعقيقة، والهدي، وهو بعث الهدي إلى مكة، في أي وقت، كل ذلك مما يثاب عليه المسلم، ويؤجر، والأضحية لا تسمى أضحية إلا ما ذبح في أيام النحر وأيام التشريق: والعقيقة ما ذبحت عن المولود في أي وقت، إلا أن السنة ذبحها في يوم السابع من ولادته، والهدي، يذبح عن دم متعة وقران في الحج في أيام النحر وأيام التشريق، ومنه ما يبعث إلى مكة في أي وقت، فيذبح في أي يوم، وهو من السنن وكذلك إذا نوى بالذبح في أي وقت لله، وذبح على اسم الله، فهو عبادة عظيمة من أجل العبادات.

النوع الثاني الذبح لغير الله: والذبح لغير الله، سواء كان للأولياء، أو للجن، أو للشياطين، أو للكواكب فإنه من الشرك الأكبر. لقوله تعالى: ﴿ قُلْ

إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وقوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ [الكوثر: ٢].

وكذلك إذا ذبح الإنسان للجن، خوفاً منهم ويدخل في ذلك، ما يذبح للتعظيم كالذبح تعظيماً للسلطان، أو الملك، أو الأمير، أو شيخ القبيلة، وغيرهم، إذا نوى به التعظيم فإنه من الشرك، وهذه الذبيحة حرام، لا يجوز أكلها لأنها مما أهل بها لغير الله، سواء قال عليها بسم الله، أو لم يقل.

والذبح على خمسة أنواع:

١. إن قال عليها بسم الله، ونوى بها التقرب إلى الله، فهذا الذبح عبادة لله.

٢. إن لم يقل عليها بسم الله متعمداً، ولم ينوي بها التقرب لأحد، فهذه الذبيحة لا يحل أكلها لأنه لم يذكر اسم الله تعالى عند الذبح، وليست من الشرك، لأنه لم ينوي بها التقرب لأحد.

٣. إن قال عليها، بسم المسيح، أو غيره، ونوى بها التقرب إلى الله، فهذه الذبيحة لا يحل أكلها، لأنها ذبحت على غير أسم الله، وذلك من الشرك بالاستعانة، لأنه استعان بسم المسيح، والذبيحة حرام لا يحل أكلها.

٤. قال عليها بسم، الله ونوى بها التقرب، إلى غير الله، فهذا أيضاً من الشرك الأكبر ولا يحل أكلها، وكذا ما ذبح تعظيماً لقدوم غائب، أو طلعت السلطان، أو شيخ القبيلة وما شابه ذلك.

٥. الذبح المباح: هو ما يذبحه الإنسان، ويذكر اسم الله عليه، ولكنه ما قصد به التقرب إلى الله، كأن يذبحه، لإرادة أكل لحمه، أو تقديمه لضيوفه، أو بيع اللحم وما شابه ذلك، من الأمور المباحة، فهذا ويجوز أكله، لأنه ذُكر اسم الله عليه، ولكن إذا نوى بهذا الذبح التقربَ به إلى الله، كان من العبادة، التي يثاب، عليها.

أما التسمية بغير اسم الله: كأن يقول بسم القدير، أو بسم الخالق، هذا مختلف فيه والأقوى عدم الجواز لعدم، وورود شيء من ذلك، من السنة، عن النبي ﷺ.

قال رحمه الله تعالى: ودليل النذر قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧﴾ [الإنسان: ٧].

قوله رحمه الله ودليل النذر: أي الدليل على أن النذر عبادة، والنذر أصله ليس بمستحب بل هو مكروه، لأن النبي ﷺ نهى عن النذر. عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه نهى عن النذر، وقال: «**إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل**». رواه مسلم. لكن إذا نذر لله وجب الوفاء به، وأثيب على ذلك، لقوله ﷻ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧﴾ [الإنسان: ٧].

والدليل من السنة: عن عائشة رضي الله عنها قالت قال: رسول الله ﷺ: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**». رواه البخاري.

وهو على نوعين: نذر تبرر: أي تقرباً إلى الله. ونذر مجازاة.

مثال النوع الأول نذر التبرر: كأن يقول لله علي أن أصوم ثلاثة أيام أو أتصدق بألف ريال ونحو ذلك.

مثال النوع الثاني نذر المجازاة: كأن يقول إن شفى الله مريضي، تصدقت بألف ريال، أو إن حصلت لي حاجة، كذا وكذا صمت ثلاثة أيام ونحو ذلك.

والنوع الأول: نذر التبرر: أخف كراهة من النوع الثاني لأنه ليس فيه اشتراط شيء أو مجازات على شيء.

أما النوع الثاني: ففيه مجازات بجازيه، على ما حصل له ويسّر له، وهذا ليس بمحمود لأن الله أكرم من أن يشترط له العبد، شيئا، على قضاء حاجته، واستجابة دعوته، لأنه سبحانه أكرم الأكرمين وأجود الأجودين سبحانه العلي الأعلى الوهاب والمشروع بذلك هو حمد الله وشكره، وسجدة الشكر، عند تجدد النعم واندفاع النقم.

وهذا النذر الأول والثاني يجب الوفاء به: إذا كان ليس بمعصية، وهو من العبادة: لأن الإنسان أوجب على نفسه، فلزمه، فإذا وفَّ به خوفاً، من الله رجاءً لما عنده، صار الوفاء به من العبادة التي يحبها الله تعالى، لقوله: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ الآية. [الإنسان: ٧].

النوع الثاني النذر للغير الله: كمن يقول إن شُفي مريضي، لأتصدقن عند قبر السيد، أو لأذبحن عند قبر الولي، أو قال يا سيد فلان، إن شُفي مرضي، أو حصلت له حاجة ليتقربن، عند قبره، هذا النذر حرام لأنه من الشرك الأكبر في عبادة الله فلا يجوز الوفاء به لأنه نذر معصية ففي الحديث عائشة رضي الله عنها

قالت قال: رسول الله ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه». رواه البخاري.

وقال رحمه الله الأصل الثاني معرفة دين الإسلام بالأدلة: وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله. وهو ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان وكل مرتبة لها أركان.

فأركان الإسلام: خمسة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام.

لما ذكر المصنف رحمه الله الأصل الأول: وهو معرفة الله ثنّى بمعرفة الأصل الثاني وهو الإسلام.

قوله رحمه الله بالأدلة، تنبيه على أنه لا يسوغ التقليد في ذلك، بل لابد أن يكون مع المسلم، أدلة من كتاب الله وسنة، رسوله ﷺ على ما خلق له، ليكون على نور، وبرهان، وبصيرة من دينه، لئلا يفتن في حياته، وبعد مماته في قبره، عند سؤال الملكين.

قوله رحمه الله الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله. أي لما كان الاستسلام لله بدون قيد قد يفعله اليهود والنصارى والمشركون، فإنهم يستسلمون لله تعالى ويستسلمون لغيره أي يدعون الله تعالى ويدعون غيره، ويسجدون لله ويسجدون لغيره، ويذبحون لله ويذبحون لغيره، ويؤمنون بالله وبرسله، ولكن لا يشهدون أن نبينا محمداً، ﷺ، رسول إليهم، والناس أجمعين، بل ينكرون ذلك.

ولذا قال النبي ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي احد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار». رواه مسلم.

ومعنى أستسلم: أي ذل وخضع لله، بأفراده بالربوبية، والخلق والتدبير، وبإفراده بجميع أنواع العبادة، مشتق من التسليم للمنيه، أو من المسالمة وهو ترك المنازعة.

وبهذا، خرج اليهود والنصارى، والوثنيون، عن الإسلام، بهذا القيد، أي قول المصنف (بالتوحيد).

وقد أمر الله تعالى أن نستسلم له وحده بقوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ الآية. [الزمر: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الحج: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢].

وقال تعالى: ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان: ٢٢].

يستسلم لله، استسلام عبادة ومحبة، وذل وخضوع وخشوع لله تعالى وحده لا شريك له: قال ابن القيم رحمه الله تعالى.

فلواحد كن واحداً في واحد أعني سبيل الحق والإيمان

قوله رحمه الله (فلواحد) وهو الله ﷻ: وهذا هو توحيد المراد (كن واحداً) في عزمك وصدقك وإرادتك، وهذا هو توحيد الإرادة. (في واحد) وهو متابعة الرسول، الذي هو طريق الحق والإيمان، فمن اجتمعت له هذه الثلاثة، نال كل كمال وسعادة، وفلاح، ولا ينقص من كماله وسعادته، إلا بقدر نقص واحد منها.

نعم قوله (فلواحد)، يستسلم لله وحده (كن واحداً) أي أنت في عبادتك وعملك وطاعتك لله (في واحد) يعني سبيل الحق والإيمان، يعني طريق الحق والصراط المستقيم الذي جاء به الرسول ﷺ.

أما الجملة الثانية من تعريف الإسلام: فهي (الانقياد له بالطاعة) وهذه كالتي قبلها، قال الانقياد له، وقيد ذلك بالطاعة، فإنه يوجد من ينقاد لله، لكن بغير طاعة كانقياد النصارى برهبانيتهم وانقياد الوثنيين في عباداتهم، لكن لا ينفعهم هذا الانقياد، لأنه بغير طاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ.

ولذا جاء في الحديث: عن ابن عباس ﷺ قال: بينما النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم في الشمس، ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم، ويصوم، فقال النبي ﷺ: **«مروه فليتكلم وليستظل، وليتم صومه»** رواه البخاري.

ففي هذا الحديث بيان الانقياد بالطاعة، والانقياد الذي ليس بطاعة، فالقيام والوقوف بالشمس وعدم الكلام، ليس بطاعة لله.

ولذا قال النبي ﷺ: مره فليتكلم وليستظل وليقعد، وأما الصوم فإنه عبادة وطاعة فقال ﷺ وليتم صومه.

وكذلك ما جاء في الحديث: عن أنس ﷺ قال جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ قد غفر له تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فاصلي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: **«أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني». متفق عليه.**

وهذا الحديث، فيه دلالة أن الانقياد يكون، بطاعة الله ورسوله وليس بالتشديد، على النفس، ولا بالتساهل في الدين، وإنما هو بإتباع الرسول، ﷺ لقوله ﷺ: **"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد". رواه البخاري ومسلم.**

وفي رواية لمسلم: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد.

ففي هذا تنبيه، على بطلان، ما تفعله الرافضة من الأشياء التي لم تشرع، فإنهم يضربون أنفسهم ضرباً شديدا، وينوحون ويبكون على أشياء ما أمروا بها، بل أحدثوها من عند أنفسهم.

وكذلك ما يفعله، فرقة الإباضية، من البدع في الصلوات وغيرها، على الكيفية التي ابتدعوها، من عند أنفسهم، وليس لها أصل من السنة.

وكذلك المبتدعة، من الصوفية يأتون بأذكار، كترديد الله الله، أو قولهم هو هو هو، وهذا الذكر، باطل لأن المشروع، قول لا إله إلا الله، أو سبحان الله، أو الحمد لله، ونحو ذلك مما صح، عن رسول الله ﷺ.

وكذلك احتفالهم، بمولد النبي، ﷺ بدعة لا أصل له.

وما يفعله المبتدعة، في ليلة الإسراء والمعراج، على زعمهم وكذلك ما يعملون في رجب مما لم يصح في سنة رسول الله ﷺ، ويزعمون أنه عبادة وطاعة لله، وهو عمل باطل، لأنه من البدع في الدين، ولا يجوز فعله، لقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [الشورى: ٢١].

أما الجملة الثالثة من تعريف الإسلام: وهي البراءة من الشرك وأهله، وهذا أصل عظيم جداً، وهو الولاء والبراء، والموالاة في الله والمعاداة في الله.

وقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة: ٤].

وفي الحديث قال الرسول ﷺ: (عن البراء بن عازب، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ.

وقال الرسول ﷺ: عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**». رواه البخاري.

وعن ابن عباس ﷺ قال: **من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه، حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا**. رواه ابن جرير.

وغير ذلك من الآيات والأحاديث، التي تدل على أهمية هذا الأصل، وعلى خطورة موالاة المشركين، وعدم البراءة منهم ومن شركهم.

كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة: ٥١].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [التوبة: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴾ [الممتحنة: ١].

فتجب البراءة من الشرك وأهله، ولا يكفي المسلم، العمل بالتوحيد، حتى يتبرأ من الشرك ومن أهله، ويبغض الشرك وأهله ويعتقد بطلانه، ويحب التوحيد وأهله ويعتقد أن الإسلام هو الحق، وما سواه فإنه باطل.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ولهذا فإن أصل الدين وقاعدته أمران:

الأولى: الأمر بعبادة الله والتحريض على ذلك والموالاة فيه وتكفير من تركه.

الثاني: الإنذار عن الشرك والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه وتكفير من فعله.

ثم ذكر رحمه الله أن له ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وكل مرتبة لها أركان، ثم ذكر أركان الإسلام، وأنها خمسة شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام.

ثم ذكر رحمه الله تعالى الأدلة على هذه الأركان: فقال رحمه الله تعالى: فدليل الشهادة قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨].

ومعناها لا معبود بحق إلا الله، لا إله، نافياً جميع ما يعبد من دون الله، إلا الله، مثبتاً العبادة لله وحده، لا شريك له في عبادته، كما أنه ليس له شريك في ملكه.

قوله رحمه الله تعالى: معنى شهادة أن لا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا الله فعليك أن تنتبه لقوله (حق) أي أنه يوجد من يعبد بالباطل كالذين يعبدون الموتى كأحمد البدوي وعبدالقادر الجيلاني ونحوهم، أو الذين يعبدون الأشجار والأحجار والشياطين.

وقوله (حق): أي لا معبود بحق إلا الله سبحانه، فإن الله جل وعلا، هو الحق وما سواه هو الباطل.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: ٦٢].

وبهذا، يُعلم، غلط وخطاء، من يقول، إن معنى لا إله إلا الله، أي لا معبود في الوجود إلا الله، وهذا خطأ من وجهين.

الأول أنه يوجد في الوجود آلهة باطلة: تعبد مع الله، كالذين يدعون ويستغيثون بالموتى، ويذبحون لغير الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان: ٣].

الثاني أعظم مما تقدم: وهو ما يعتقده أهل الوحدة والحلول والإتحاد من أن الوجود، هو الله، فكل ما عبده الإنسان، من صنم أو حيوان، أو شجر، فهو يعبد الله، على قولهم الباطل، وهذا لا شك أنه كفر وضلال مبين.

فإن قال فمعناها، لا معبود في الوجود (بحق) إلا الله، فلا بأس، لأن المهم أن يأتي بحق لأنها خبر لا، (فلا) نافية للجنس تعمل عمل إن تنصب المبتدأ

وترفع الخبر، (إله) أسمها مبني معها على الفتح والخبر مقدر تقديره (حق)، (إلا) أداة استثناء ملغاة، (الله) بدل من (حق) وبدل المرفوع مرفوع.

وبمعرفة الإعراب، يتبين لك أنك تنوي بقلبك، إذا نفيت فقلت (لا إله) أنك ما تقصد جميع لآلهه، وإنما تقصد بهذا النفي، الآلهة الباطلة، وتعلم أن المستثنى، مخرج من المستثنى منه، ومن حكمه، فلا يدخل في المنفي، حتى يستثنى منه، ولا في حكمه حتى يخرج منه، فتفطن لهذه المسألة فإنها مهمة جداً.

وشهادة أن لا إله إلا الله لا بد لقائلها من العلم بمعناها نفياً وإثباتاً.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦].

شهد بالحق: أي (بلا إله إلا الله) وهم يعلمون في قلوبهم ما نطقوا به بألسنتهم.

فلا بد من العلم بالمنفي والمثبت: فالمنفي الطاغوت والمثبت الإيمان بالله وحده سبحانه.

كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ولها شروط سبعة:

الأول: العلم المنافي للجهل.

الثاني: اليقين المنافي للشك.

الثالث: الإخلاص المنافي للشرك.

الرابع: الصدق المنافي للكذب المانع من النفاق.

الخامس: المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه.

السادس: القبول المنافي للرد.

السابع: الانقياد المنافي للترك.

ولها نواقض عشرة ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في غير هذا المصنف وهي كالتالي:

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢]. **ومنه الذبح لغير الله:** كمن يذبح للجن أو للقبر.

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط، يدعوهم ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم كفر إجماعا.

الثالث: من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم كفر.

الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت، على حكمه فهو كافر.

الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به، الرسول ﷺ، ولو عمل به كفر.

السادس: من استهزأ بشيء من دين، الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر. والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

السابع السحر: ومنه الصرف والعطف: فمن فعله أو رضي به كفر: والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم، على المسلمين والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝﴾ [المائدة: ٥١].

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة، محمد ﷺ كما وسع الخضر، الخروج عن شريعة موسى عليه السلام، فهو كافر.

العاشر الإعراض عن دين الله تعالى: لا يتعلمه ولا يعمل به: والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ۝﴾ [السجدة: ٢٢].

وقوله رحمه الله تعالى: لا شريك له في عبادته، كما أنه ليس له شريك في ملكه يعني كما أنه لا يدّعي أحدٌ أنه شريك لله في ملكه، فهو الذي خلق الأرض سبحانه وحده، وخلق السماء سبحانه وحده، ويدبر ويصرف الأمور في خلقه، وملكه، وحده سبحانه. فهو المتفرد سبحانه في ملكه، فيجب على العباد أن يفردوه في العبادة. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾ [المائدة: ١٧].

وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْآخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ [سبأ: ١].

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء: ١١١].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

فهذه الآية تقطع، عروق الشرك من القلب، لمن تدبرها وتأملها، فقوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي أن الذين تدعون مع الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، أي إنه هو المالك جل جلاله، للسموات والأرض وما فيها ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ أي ليس أحد شريكاً لله فيها، ولا احد بزعم ممن يُدعى مع الله، أنهم شركاء لله في ملكه ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ أي معين وكذلك لا يدعي أحدٌ أنه معين لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين الله سبحانه، أنها لا تنفع إلا لمن أذن له وقد أخبر سبحانه أنه لا يأذن لمن دعا غير الله، وأشرك معه غيره.

قال رحمه الله: وتفسرها الذي يوضحها. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ

بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

قوله رحمه الله تعالى: وتفسيرها: وذلك أن التفسير: تارة يكون بذكر ما تحت اللفظ من معنى، وتارة بذكر الضدّ والمنافي، كما تقدم في شروط لا إله إلا الله.

أي تفسير لا إله إلا الله والذي يوضحها ويبينها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

لا إله. وإبراهيم عليه السلام ما تبرأ من جميع لأنه وإنما تبرأ من الآلهة الباطلة ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

كما قال الله ﷻ لنبيه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [الكافرون: ١-٦].

وهم يعبدون الله ويعبدون معه غيره، فنتبرأ من عبادة غير الله مع الله، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾ [مريم: ٤٨].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٧].

أي ابتدأ خلقي وبرأني وفيه معنى (إلا الله) فدلت الآية على ما دلت عليه (لا إله إلا الله) وهذا يقال لا النافية للجنس عند النحاة، لام التبرئة، فالخليل عليه السلام، تبرأ من آلهتهم، سوى الله ولم يتبرأ من عبادة الله، بل استثنى من المعبودين ربه.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٨]. أي لا إله إلا الله في عقب إبراهيم أي في ذريته ونسله، لا يزال فيهم من يكون على ملة إبراهيم، إلى أن بعث الله محمداً ﷺ وهو من عقب إبراهيم.

ثم استدل المصنف رحمه الله تعالى: بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

استدل الشيخ رحمه الله على تفسير (لا إله إلا الله): بهذه الآية: لأن الله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾. أمر الله نبيه ﷺ أن يقول لأهل الكتاب، اليهود والنصارى تعالوا، هلموا إلى كلمة واحدة لا غير، والكلمة تطلق على الجملة المفيدة. كما هنا ﴿سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي عدل ونصف، لا يختلف فيها رسول ولا كتاب نستوي نحن وأنتم في فرضيتها ووجوبها، علينا وعليكم.

فإن النبي ﷺ قال لقريش: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» وهي الكلمة التي تدعو إليها الرسل جميع الخلق قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]. فتقرر أنه ليس كلمةٌ هنا

غيرها وقد فسرها الله تعالى بقوله سبحانه (أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا) فتبين أن لا معبود حق إلا الله وحده. ولا نشرك به شيئا أي لا صليباً ولا صنماً ولا طاغوتاً ولا ناراً ولا شيئاً، غير الله تعالى، بل نفرده تعالى بالعبادة وحده لا شريك له وهذه دعوة جميع الرسل. وقوله: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي لا يطيع بعضنا بعضاً في معصية الله. كما فعلت اليهود والنصارى. وقوله فإن تولوا: أي فإن امتنعوا وأدبروا وأعرضوا، عن الإجابة على إفراد الله بالعبادة. فقولوا أنتم يا أمة محمد لهم أشهد بأنا مسلمون مخلصون لله بالتوحيد دونهم أي صرحوا لهم بالمشافهة، أنكم مسلمون وأنهم كفار، وأنكم براء منهم وهم براء منكم، وهذا يدل على أنه لا بد من أن تبين للكفار حتى يتحققوا أنهم ليسو على دين، وأن دينك خلاف دينهم الذي هم عليه.

قال رحمه الله تعالى: ودليل شهادة أن محمداً رسول الله: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

ذكر الشيخ رحمه الله دليل شهادة أن محمداً رسول الله: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

ففي هذه الآية يمتن الله تعالى على المؤمنين، بإرسال محمد بن عبدالله ﷺ، إليهم، رسولاً من أنفسهم، يعرفون نسبه وصدقه، ليس بمَلَك لا يتمكنون من سؤاله، بل بشر يتمكنون من سؤاله بها شاءوا، وعلى القراءة الثانية بفتح ألفا، أي من أشرفهم وأكرمهم.

وقوله عزيز عليه ما عنتم، أي شديد شاق عليه الذي يعنّت أمته ويشق عليها، ويدخلها في الآصار والأغلال.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال ﷺ: «إن هذا الدين يسر». رواه البخاري.

فشريعته ﷺ سمحة سهلة ومع ذلك فهي كاملة، وقوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي على هدايتكم وإنقاذكم من النار. وقوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾. أي رأفته ورحمته خاصة بالمؤمنين، كما أن غلظته وشدته على الكافرين.

ثم ذكر رحمه الله معنى شهادة، أن محمداً رسول الله: وذلك لأن لكل قول حقيقة، فيما حقيقة هذه الشهادة.

الجواب، أن تصدقه فيما أخبر عن الأشياء الماضية، والأشياء الحاضرة، والأشياء المستقبلة، في آخر الزمان واليوم الآخر وما فيه من الأهوال، مما صح سنده عنه ﷺ من سؤال القبر وعذابه ونعيمه، والبعث والنشر والحشر والحساب والوقوف بين يدي الله، والعرض والميزان والحوض، والصراط والمرور عليه، والجنة والنار وما فيهما.

لقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝﴾ [النجم: ١-٤].

وقوله: «واجتناب ما نهى عنه وزجر». لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝﴾ [الحشر: ٧].

وقال عليه الصلاة والسلام: «ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه».

وقوله: وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، لقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ الآية [الشورى: ٢١].

وللحديث: عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». أخرجه البخاري ومسلم.

وفي رواية لمسلم «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد».

هذا معنى شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، فإنه لا بد مع النطق بها، أي بشهادة، أن محمداً رسول الله، من العمل بما دلت عليه: فقولها باللسان دون العمل، بما دلت عليه، لا يصير به من أهل شهادة، أن محمداً رسول الله كما أن قوله لا إله إلا الله، بدون العمل بما دلت عليه لا يصير، به من أهل شهادة، أن لا إله إلا الله، على الحقيقة، فأول ما يجب على الإنسان، أن يعلم بقلبه، علم يقين، وينطق بلسانه بالشهادتين ويعمل بما دلت عليه.

قال رحمه الله تعالى: ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝﴾ [البينة: ٥].

قوله رحمه الله ودليل الصلاة والزكاة، وتفسير التوحيد: أي ودليل الصلاة والزكاة وأنهما ركنان من أركان الإسلام الخمسة، التي لا يستقيم إسلام عبد إلا بهما، وكذا في الآية تفسير التوحيد وهو الأساس، الذي لا يستقيم إسلام عبد إلا به: فالصلاة تجب على كل بالغ، عاقل من ذكر وأنثى، على حسب استطاعته ويؤمر بها، من بلغ سن التمييز، ويضرب عليها، من بلغ عشر سنين: والفرض خمس صلوات في اليوم والليلة.

كما جاء في الحديث: عن طلحة بن عبيد الله ﷺ قال جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أهل نجد ثَائِرَ الرَّأْسِ، نَسْمَعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ وَلا نَفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإِسْلامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟. قَالَ: لا، إلا أَنْ تَطَوَّعَ، قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وصِيَامَ رَمَضَانَ قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟، قَالَ: لا، إلا أَنْ تَطَوَّعَ، قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الزكاة، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟، قَالَ: لا إلا أَنْ تَطَوَّعَ. فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ لا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلا أَنْقُصُ مِنْهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ. رواه البخاري وغيره.

نعم هي خمس صلوات في اليوم والليلة: الفجر ركعتان، والظهر أربع ركعات، والعصر أربع ركعات، والمغرب ثلاث ركعات، والعشاء أربع ركعات. ولا تسقط عن البالغ العاقل بحال من الأحوال سواء كان حاضراً أو مسافراً، أو كان صحيحاً أو مريضاً، أو كان قادراً على القيام، أو غير قادر، أو كان قادراً على الوضوء، أو غير قادر، وسواء كان قادراً على استقبال القبلة، أو غير قادر. كل هؤلاء لا تسقط عنهم الصلاة بل يجب عليهم أن يؤدوها في وقتها على حسب استطاعتهم.

قال الله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨]. وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾ [النمل: ٣].

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [التوبة: ٥].

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾ الآية. [التوبة: ١١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ الآية. [النساء: ١٠٢].

وفي الصحيح: عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان**». رواه البخاري ومسلم.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بين الرجل، وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**». رواه مسلم.

وعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**». رواه الترمذي والنسائي وصححه الألباني.

وللصلاة شروط وأركان وواجبات ومبطلات قد ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مستقلة بعد الأصول الثلاثة.

الركن الثالث إيتاء الزكاة: الزكاة تجب على كل من ملك نصاباً وحال عليه الحول، وهي ركن من أركان الإسلام الخمسة، تجب في هذه الأنواع التالية:

١. الذهب نصابه ٨٥غرام.

٢. الفضة نصابها ٥٩٥غرام. والأوراق النقدية نصابها نصاب الفضة.

٣. وكذلك عروض التجارة من البضائع، والمواد الغذائية، والسيارات، والمكائن، والمعدات وما شابه ذلك، كل ذلك، إذا أعد للتجارة، وحال عليه الحول، أو حال الحول على أصله، فالزكاة تجب، على صاحبه، في المئة ريالان ونصف، أي ربع العشر.

٤. وكذلك تجب في المواشي، إذا بلغت النصاب، ففي خمس من الإبل شاة، وفي كل خمس شاة، إلى خمس وعشرين بنت مخاض، إلى آخر ما ذكر في الحديث وكذلك البقر نصابها ثلاثون، من البقر، والغنم نصابها أربعون شاة.

ولا تجب إلا في بهيمة الأنعام، إذا كانت سائمة، وهي التي ترعى الحول أو أكثر الحول.

٥. والحبوب والثمار، تجب فيها الزكاة، إذا بلغت نصاباً، النصاب، ثلاث مائة وستون صاعاً، وفيها نصف العشر، إذا كانت تسقى بمؤنة، وكلفة، أما إذا كانت بعلا أو تشرب بعروقها، ففيها العشر.

قال رحمه الله تعالى: ودليل الصيام: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

قوله رحمه الله تعلى ودليل الصيام: أي الركن الرابع وهو الصيام: صيام شهر رمضان لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وقوله: كتب أي فرض يجب على كل بالغ عاقل قادر فخرج، بقول (البالغ) الذي ليس ببالغ، لا يجب عليه ولكن يسن له الصيام، (والعاقل) خرج بذلك، المجنون ومن في حكمه، فإنه لا يجب عليه الصيام.

وقادر: خرج بذلك الذي ليس بقادر، وهو الذي يعجز عن الصيام أو يتضرر بالصيام، فمثل هذا يطعم عن كل يوم مسكيناً، والصيام كسائر الواجبات، له أركان وسنن وله مبطلات، ومكروهات، تذكر في كتب الفقه.

قال رحمه الله تعالى ودليل الحج: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧].

قوله رحمه الله ودليل الحج: أي الركن الخامس الحج: الحج يجب، في العمر مرة واحدة على كل مسلم، بالغ مستطيع لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧].

أركان الحج أربعة:

الأول: الإحرام.

الثاني: الوقوف بعرفة.

الثالث: طواف الإفاضة.

الرابع: السعي.

وواجباته سبعة:

الأولى: الإحرام من الميقات.

الثاني: الوقوف بعرفة إلى غروب الشمس.

الثالث: المبيت بمزدلفة.

الرابع: رمي الجمار.

الخامس: المبيت بمنى ليالي التشريق.

السادس: الحلق أو التقصير.

السابع: طواف الوداع.

وله محظورات وهي سبعة: ومحل ذكر ذلك في كتب الفقه، ولكل ركن شروط، وواجبات، وسنن، ومكروهات.

قال رحمه الله تعالى: المرتبة الثانية الإيمان: وهو بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان.

وأركانه ستة: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره).

والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والدليل القدر قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر: ٤٩].

قوله رحمه الله المرتبة الثانية: (الإيمان): قدم رحمه الله تعالى المرتبة الأولى وهي الإسلام وثنى بمرتبة الإيمان وهي أعم من مرتبة الإسلام، من جهة نفسها، وأخص، من جهة أصحابها، وأهله هم خواص أهل الإسلام، وأهل الإسلام أكثر من أهل الإيمان، بخلاف العكس كما قال تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحجرات: ١٤].

فإن من حكمت له النصوص أنه مؤمن فإنه مسلم على كل حال.

والإيمان لغة التصديق: وشرعاً هو اعتقاد، بالقلب وقول باللسان، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وله أركان وشعب يزيد، فيها وينقص، كما للنفاق شعب، يزيد فيها، وينقص، والشيخ رحمه الله: قال وأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان.

فما من خصلة من خصال الطاعات إلا وهي من الإيمان، ولا ترك محرم من المحرمات إلا وهو من الإيمان، والتي يزول بزوالها ستة أركان.

وهي التي ذكرها الشيخ بقوله رحمه الله تعالى: أركان الإيمان ستة أي أصول الإيمان التي تركب منها.

الأول أن تؤمن بالله: وهو أعظم أركان الإيمان، وهو أصل الأصول، ومعناه الإيمان بوحدانية الله تعالى، وتفرده بأسمائه وصفاته، والإيمان بأنه الإله الحق وأن ما عُبد، من دونه فعبادته، أبطل الباطل، وأضل الضلال.

أي أن الإيمان بالله، توحيده سبحانه وتعالى: بأنواع التوحيد الثلاثة التي تقدم ذكرها فيما سبق.

فمن عمل بهذا التوحيد ظاهراً وباطناً فقد آمن بالله.

الثاني الإيمان بالملائكة: وهو أن تعتقد، أن لله ملائكة، خلقوا من نور، وأنهم لا يعلم عددهم إلا الله، لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ الآية. [المدثر: ٣١].

فنؤمن إيماناً مفصلاً بمن ذكرت أسماؤهم: في النصوص الصحيحة، كجبريل وميكائيل وإسرافيل ورضوان.

ونؤمن إيماناً مجملاً بالذين لم تذكر أسماؤهم: فمنهم الذين في السماء، يتعبدون ومنهم الموكل بالبحار، ومنهم الموكل بالإنسان، ومنهم الموكل بالأرحام، ومنهم الموكل بالقطر والنبات، ومنهم من يتتبع حلق الذكر، وغير ذلك، مما ذكر في كتاب الله وصحيح السنة.

الثالث أن تؤمن بكتبه: كذلك نؤمن بجميع كتبه إيماناً مجملاً وإيماناً مفصلاً، أما المفصل فالكتب التي ذكرت أسماؤها، كالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن، فنؤمن بها إيماناً مفصلاً، لكن لا نعمل إلا بالقرآن، ونؤمن إيماناً مجملا، بجميع الكتب المنزلة من السماء من عند الله ﷻ.

الرابع الإيمان بالرسل: نؤمن إيماناً مجملاً، وإيماناً مفصلاً، فأما الإيمان المفصل فهو الإيمان، بمن ذكرت أسماؤهم من الأنبياء، والمرسلين، كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد ﷺ، وما الإيمان المجمل فنؤمن بجميع الأنبياء الذين لم تذكر أسماؤهم وأن لله تعالى أنبياء، من بني إسرائيل، وغيرهم، ولكن لا نتبع إلا نبينا، محمداً ﷺ لقوله ﷺ: «**لو كان أخي موسى حيا ما وسعه إلا إتباعي**». حسنه الألباني في إرواء الغليل.

ونؤمن أن نبينا محمداً ﷺ خاتم الأنبياء لا نبي بعده.

لما روى أحمد وأبو داود والترمذي وصححه. عن ثوبان رضي الله عنه وفيه، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي.

وفي حديث سعد بن أبي وقاص قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**». رواه مسلم.

الخامس الإيمان باليوم الآخر: سمي آخراً لتأخره، وهو ما يكون بعد الموت من السؤال وعذاب القبر ونعيمه والبعث والنشر والحشر والحساب والعرض والحوض والصراط. والجنة والنار نسأل الله الجنة ونعوذ به من النار وما يكون في ذلك اليوم من الأهوال والأمور العظام مما ذكر في كتاب الله ﷻ أو صح في سنة رسوله ﷺ.

السادس الإيمان بالقدر خيره وشره: أي الإيمان بما قدره الله يعني كتبه من خير وشر.

والقدر قدرة الله: وهو أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك وأن الله جل وعلا قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم.

والإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بأربعة أشياء:

١. الإيمان بعلم الله القديم.
٢. الإيمان بأن الله كتب ما علم أنه كائن من العباد.
٣. الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.
٤. الإيمان بأن ما في الكون بتقدير الله وإيجاده.

وهو على أنواع:

الأول تقدير في الأزل: وهو ما كتب في اللوح المحفوظ.

الثاني تقدير عمري: وهو الكتابة على بني آدم، وهم في بطون أمهاتهم.

الثالث تقدير حولي: وهو الكتابة الحولية التي تكتب كل سنة في ليلة القدر.

الرابع تقدير يومي: وهو الكتابة بالصحف التي في أيدي الملائكة قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

وكما جاء في الحديث عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفه، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد، فو الله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**». رواه البخاري ومسلم.

ثم استدل الشيخ رحمه الله على أركان الإيمان: بقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقد اشتملت هذه الآية على جمل عظيمة وعقيدة مستقيمة.

وقوله ودليل القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ أي ما خلقناه فمقدور مكتوب في اللوح المحفوظ وفي الحديث «**كل شيء بقدر حتى العجز والكيس**».

المرتبة الثالثة الإحسان ركن واحد: وهو (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) والدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: ١٢٨].

وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ الآية [يونس: ٦١].

تقدم أن مراتب الدين ثلاثة: الإسلام وأركانه خمسة، والإيمان وأركانه ستة، والإحسان وهو ركن واحد، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، يعني تراقب الله في عملك، فإذا صليت تؤمن أن الله يراك، أو كأنك تراه، وإذا تصدقت فكذلك، وإذا توضأ العبد، يحسن وضوءه لأنه يراقب الله تعالى وكذلك سائر العبادات يراقب الله فيها.

وكذلك في المعاملات، الموظف يراقب الله في عمله، وتعامله مع الناس، وكذلك التاجر، والمزارع، والنجار، والجزار. كل هؤلاء إذا كانوا من المؤمنين، وراقبوا الله في أعمالهم، وأحسنوها، خوفاً من الله ورجاءً لما عنده، صاروا من المحسنين ولذلك فضلهم الله تعالى في المعية الخاصة بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: ١٢٨].

وهذه المعية هي معية خاصة: فإنه مع خلقه بالعلم والإحاطة، لكن المعية الخاصة للمحسنين، والمتقين، والصابرين، بالنصر والحفظ والتأييد، والإحسان

يكون في كل شيء، في أمر الدين وأمور الدنيا، فالمؤمن يحرص على الإحسان، فالإحسان هو أن تعبد الله العبادة البدنية، كالصلاة أو المالية كالذبح، أو المعاملات، كأنك تشاهد معبودك، الذي قمت بين يديه، وقربت له القربان وأطعته فيما أمرك به.

كما جاء في الحديث عن أبي سعيد أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إذا أسلم العبد فحسن إسلامه، يكفر الله عنه كل سيئة، كان زلفها وكان بعد ذلك القصاص، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبع مائة ضعف، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها**». رواه البخاري.

وفي الحديث عن كعب بن عجرة، حدثه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا توضأ أحدكم، فأحسن وضوءه، ثم خرج عامدا إلى الصلاة، فلا يشبك بين يديه فإنه في الصلاة**». رواه الإمام أحمد.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة**». رواه مسلم.

ثم استدل المصنف بقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠]. وهو واضح أن الله جل وعلا لا تخفى عليه خافية ويراك حال قيامك وفي ركوعك وسجودك وقعودك قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [العلق: ١٤].

وقال جل وعلا: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١].

فإنه شهيد على خلقه إن الله كل شيء شهيد فإذا آمن العبد بذلك ووصل ذلك إلى قلبه، وراقب الله في أعماله، أحسن أعماله وأخلصها وصفاها لله، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ أي في عمل من الأعمال ﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا﴾ أي إلا ونحن عليكم شهوداً مشاهدون لكم راؤون سامعون، إذ تفيضون فيه أي تأخذون في ذلك الشيء.

قال رحمه الله تعالى: والدليل من السنة حديث جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب ﷺ قال بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ: «أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا». قال صدقت، قال فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فأخبرني عن الإيمان: قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره». قال صدقت. قال فأخبرني عن الإحسان: قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». قال فأخبرني عن الساعة: قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل». قال فأخبرني عن أماراتها قال: «أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة والعراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان». قال فمضى فلبثنا مليا فقال: «يا عمر أتدري من السائل؟» قلت الله ورسوله أعلم. قال: «هذا جبرائيل أتاكم يعلمكم أمر دينكم».

قوله رحمه الله تعالى: والدليل من السنة حديث جبرائيل المشهور: أي والدليل على مراتب الدين الثلاث الإسلام والإيمان والإحسان من الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في ذلك.

أي هذه أركان الإسلام الخمسة وهذا هو دليل المرتبة الأول ومفسر بأعمال الجوارح الظاهرة.

والإسلام هو الدين قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قال صدقت قال فعجبنا له يسأله ويصدقه أي عجب الصحابة منه فإن من شأن السائل أن يجهل ما يسأل عنه وهذا يسأل ثم يصدقه.

قال فأخبرني عن الإيمان: قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره.

نعم قد ذكر الله الإيمان، بهذه الأصول، في مواضع من كتابه والنبي ﷺ جعل هذه الستة، هي أركان الإيمان ومبانيه، وإعادة وتؤمن عند ذكر القدر، للاهتمام بشأنه، وبهذا الحديث، احتج عبدالله بن عمر، وقال في القدرية والذي يحلف به ابن عمر، لو أن لأحدهم مثل أحد، ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر.

وهذا هو دليل المرتبة الثانية من السنة، وفسره بالأعمال الباطنة، ودلّ الحديث على، أن الإسلام والإيمان، إذا اقترنا فسّر الإسلام، بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالأعمال الباطنة.

فالإسلام والإيمان، إذا اجتمعا افترقا وإذا فترقا اجتمعا.

قوله في الحديث فأخبرني عن الإحسان: قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تراه فإنه يراك.

نعم هذا القدر من الحديث، أصل من أصول الدين، وقاعدة مهمة من قواعد العلم، وهو من جوامع الكلم، التي أوتيها ﷺ، **فإن إحسان العبادة هو الإخلاص فيها والخشوع، وفراغ البال حال فعلها، ومراقبة المعبود (وقوله إن** تعبد الله كأنك تراه... الخ.

أي أن تعبد، أي تؤدي العبادة، وكأنك تشاهد الحق بقلبك، حتى كأنك تراه، والحالة الثانية أن تستحضر الله، مطلعاً عليك يرى كل، ما تعمل.

وقوله في الحديث: فأخبرني عن الساعة: قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل. أي أنا وأنت سواء في العلم بها فإنها مما استأثر الله بعلمه. كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

وفي الحديث: عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: **«مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»**. رواه البخاري.

قوله فأخبرني عن أماراتها: جمع أمارة بالفتح الدلالة والبرهان على اقتراب قيامها، قال أن تلد الأمة ربتها، أي من أماراتها، علاماتها، أن ترى الحفاة،

جمع حاف وهو الذي لا نعال عليه، والعراة جمع عار، وهو الذي لا ثياب عليه، العالة جمع عائل، والعائل الفقير، رعاء الشاء يعني الغنم يتطاولون في البنيان.

والعرب كانوا قبل بعثة النبي ﷺ، حفاة عراة.

كما في الحديث، وكانوا في اشد حالة وأدناها، فمنَّ الله عليهم بالإسلام وقواهم، حتى استنفقوا خزائن كسرى، وقيصر ثم صاروا إلى ما أخبر به، النبي ﷺ.

قوله ﷺ هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم، وفي رواية يعلمكم دينكم أي أن النبي ﷺ أخبر أن ما ذكر في هذا الحديث هو أمر الدين بل هو الدين، فإنه قد اشتمل على أصول الدين والعقائد، بل انحصرت العلوم الشرعية، التي يتكلم عليها فرق المسلمين، في هذا الحديث، ورجعت كلها إليه، وعقيدة أهل السنة عليه.

قال رحمه الله تعالى الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد ﷺ: وهو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بنهاشم وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم، وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبياً رسولاً. نبيء «باقرأ» وأرسل «بالمدثر» وبلده مكة وهاجر إلى المدينة.

قوله رحمه الله الأصل الثالث: (معرفة نبيكم محمد ﷺ) وذلك أن معرفة هذا الأصل أصل، من أصول الدين لأنه ﷺ، هو الواسطة بيننا وبين ربنا، في تبليغ الرسالة، وتبليغ هذا الدين العظيم، والهداية إلى الصراط المستقيم،

والهداية إلى سعادة الدارين، والنجاة من خزي، الدنيا وعذاب الآخرة، ولا طريق لنا ولا نعرف ما ينجينا من غضب الله وعقابه، ويقربنا من رضى الله، تعالى وثوابه، إلا بما جاء به نبينا محمد ﷺ، ولهذا تحتمت معرفته، ﷺ، وصارت أصلاً ثلاثاً. إذ لا يمكن معرفة المُرسِل، إلا بمعرفة رسوله، فصار من الضروريات، معرفته ﷺ، ولأن معرفته ﷺ، من أقوى الأسباب على محبته ﷺ وتجريد متابعته.

وأما أهل الغلو في الدين، فأنهم أحدثوا احتفالاً، لمولده عليه الصلاة والسلام، وهذا لم يأذن به الرسول ﷺ ولم يأمر به، ولم يعمله أصحابه من بعده، وهو من البدع في الدين، وأشد وأشنع، إذا كان في الاحتفال دعاءٌ واستغاثة به، ﷺ، فهذا من الشرك الأكبر، كما هو مذكور في قصيدة البوصيري (البردة) ومن ذلك قوله:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حدوث الحادث العَمِمِ

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقَلَمِ

إن لم تكن آخذاً يوم المعاد بيدي ... عفواً وإلا فقل يا زلة القَدَمِ

إلى آخر ما في القصيدة، من المخالفة والأمور الشركية، كل هؤلاء، ومن على طريقتهم وشاكلتهم، أحدثوا بالدين ما لم يأذن به الله، وغلو في، الرسول ﷺ بشيء، لا يرضاه، وأفرطوا في ذلك، بشيء نهى عنه، كما في قوله ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبدالله ورسوله**». رواه البخاري.

وقال ﷺ: «إياكم والغلو فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين». رواه أحمد.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧].

وبأزاء هؤلاء الغلاة، الذين غلو في حب الرسول ﷺ، وابتدعوا. بإزائهم قوم جفوا محبة، محمد ﷺ، وأعرضوا عنها، فلا تمرّ على قلوبهم: محبة الرسول ﷺ، واجبة، لا يجوز التقصير فيها، ولا الإعراض عنها، لقوله ﷺ «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

نعم محبة الرسول ﷺ واجبة: يزيد الإيمان بزيادتها، وينقص بنقصانها، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤].

وفي شهادة أن محمداً عبدالله ورسوله: دفع للإفراط والتفريط، والغلو والجفاء. ففي شهادة أنه عبد عليه الصلاة والسلام، دفع للغلو في محبته، والإفراط: وفي شهادة أنه رسول الله، دفع للجفاء والتفريط، في محبته ﷺ، والإعراض عنها.

ولمحبة الرسول ﷺ ثمرات: منها محبة العبادة والسرور بها والأنس بها، كما أن الإنسان، إذا أحب شخصاً، أحب أمره وسهل عليه، وكره مخالفته، المهم:

أن يعرف المسلم، رسول الله ﷺ، ودعوته، وحسبه، ونسبه، وهجرته، وأخلاقه، وسيرته فإن ذلك من أقوى الأسباب، الجالبة لمحبة الرسول ﷺ.

قوله رحمه الله: هو محمد بن عبدالله: أي هذا أشهرها، كما في قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ الآية. [الأحزاب: ٤٠]. وقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ الآية. [الفتح: ٢٩].

وإلا، فله ﷺ عدّة أسماء، كما جاء في الحديث الصحيح: عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«لي خمسة أسماء: أنا محمّد، وأحمد، وأنا الماحي الّذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الّذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»**. رواه البخاري.

وفي رواية لمسلم. والعاقب الذي ليس بعده نبي.

قوله: (ابن عبدالمطلب) واسم عبدالمطلب شيبة الحمد، ابن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

فإن قال قائل كيف، يكون إسماعيل من العرب، ووالده ليس منهم؟.

فالجواب، أن العرب على قسمين عرب عاربة، وعرب مستعربة. فإسماعيل من العرب المستعربة فإن إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر، جعلهما إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام عند مكان بيت الله، الكعبة، فيسر الله له ولأمه: ماء زمزم فأتت العرب إليهم، يريدون الماء فنزلوا عندهم فشب إسماعيل، فتزوج من العرب واستعرب، فصار عربياً.

والعرب العاربة قحطان، والمستعربة عدنان، وهم أفضل من العرب العاربة، كيف ومنهم النبي ﷺ وهو القائل إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم. رواه مسلم.

وأسماؤه ﷺ مشتقة من صفات قائمة به توجب له المدح والكمال.

قوله رحمه الله تعالى: وله من العمر ثلاث وستون سنة: أي عمر الرسول ﷺ ثلاث وستون سنة، ولد عام الفيل، وتوفي أبوه عبدالله، وهو حمل وكان عند جده ثم عمه أبي طالب، وتزوج خديجة رضي الله عنها ، وله خمس وعشرون سنة، ومنها أولاده إلا إبراهيم فمن مارية، وكان يسمى الأمين قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام.

قوله رحمه الله تعالى: منها أربعون قبل النبوة: لما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة، يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات عليه الصلاة والسلام، وهو ابن ثلاث وستون سنة. وهذا قول جماهير أهل العلم، بسيرة الرسول ﷺ.

قال يحيى الصرصري:

وأتت عليه أربعون فأشرقت ... شمس النبوة منه في رمضان

وأما ما روي ما نبئ نبي إلا بعد الأربعين، فإنه ليس بحديث ثابت، بل عده ابن الجوزي من الموضوعات.

قوله: ثلاث وعشرون نبياً رسولا نبئ باقرأ أي أنزل عليه يوم الاثنين، والمشهور أنه أنزل عليه في رمضان بغار حراء أول سورة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝﴾. كما في الحديث.

عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني. فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني. فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝﴾ [العلق ١-٣]. فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد ﵂، فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر، لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى بن عم خديجة، وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا بن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة يا بن

أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذع ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال ﷺ: أو مخرجي هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ثم، لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي. رواه البخاري ومسلم.

وأرسل بالمدثر أي بصدر سورة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤﴾ [المدثر: ١-٤]. بعد فترة الوحي كما في الحديث.

عن جابر بن عبد الله انه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي قال فبينا أنا امشي إذ سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصري قِبَل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت منه حتى هويت إلى الأرض، فرجعت إلى أهلي، فقلت زملوني زملوني، فانزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾ [المدثر: ١-٥] رواه البخاري ومسلم.

قوله وبلده مكة: أي أن النبي ﷺ بلده مكة حيث نشأ فيها فكان له ولآبائه، وأجداده، وأعمامه مكانة، في أهل مكة، ولد بها عليه الصلاة والسلام، في شعب علي، ونشأ بها إلا ما كان منه، وهو مع مرضعته السعدية، في البرية ثم رجع إليها، في حضانة جده، ثم عمه، وأوحى إليه بها، أي مكة، وبقي بها ثلاث عشرة سنة، بعد أن أوحى الله إليه.

قوله رحمه الله تعالى: ثم هاجر إلى المدينة أي بعد أن هموا بقتله ﷺ، فتغيب في الغار، ثم سار هو وأبو بكر مهاجراً إلى المدينة، وذلك بعد أن بايعوه، على النصرة والمؤازرة، وأزحت الأمة، من مهاجره ﷺ.

قال رحمه الله تعالى: بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد والدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ [المدثر: ١-٧].

ومعنى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ أي عظمه بالتوحيد، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾، أي طهر أعمالك عن الشرك. ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ الرجز الأصنام وهجرها تركها، والبراءة منها وأهلها.

أخذ على هذا عشر سنين، يدعو إلى التوحيد وبعد العشر عرج به إلى السماء وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين. وبعدها أمر بالهجرة، إلى المدينة.

قوله رحمه الله تعالى: بعثه الله بالنذارة عن الشرك... الخ: أي أن الله جل وعلا بعثه أي أرسله إلى الناس جميعا، ينذر وينهى عن الشرك ويدعو إلى التوحيد: يعني إلى إفراد الله بالعبادة وتوحيد الله بالعبادة، وهذه هي دعوة الرسل ينذرون ويبشرون كما قال ﷻ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٦٥﴾ [النساء: ١٦٥]. وقال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ الآية [فاطر: ٢٤]. ينذر من خالف أمر الله ويبشر من أطاع

الله ورسوله قال ﷻ: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء: ١٥].

وقال ﷻ: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ الآية [الأنعام: ١٩].

كما بين الشيخ رحمه الله: قوله تعالى: ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ ﴾. أي (ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد) ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ ﴾ أي عظمه بالتوحيد. ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ ﴾ أي طهر أعمالك عن الشرك. ويدخل في ذلك تطهير الثياب من النجاسة ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾ الرجز الأصنام وهجرها تركها والبراءة منها وأهلها والهجر ضد الوصل. فالنبي ﷺ أمر بترك الأوثان، ومباعدتها، ومصارمتها، وجميع المآثم قال تعالى عن الخليل: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية [مريم: ٤٨]. فلا يتم توحيد العبد حتى يتبرأ من الكفر وأهل الكفر، ويباعدهم وينابذهم. وقوله تعالى: ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾ أي احتسب بصبرك، واقصد به وجه الله تعالى أي على طاعته وأوامره، أو على ما أوذيت في الله.

قوله رحمه الله: أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد وهذه قاعدة عظيمة وأمر مهم، ينبغي للمسلم أن يجعله على باله، فإن العبادة لا تصح إلا بهذا الأصل، ولهذا فأن النبي ﷺ في العشر السنين، بعد ما بعثه الله لم يأمرهم بالصلاة ولا بالزكاة ولا بالصيام ولا بالحج، ولا نهاهم عن المحرمات، بل يقول لهم قولوا، لا إله إلا الله تفلحوا، أي اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، ويأمرهم بمكارم الأخلاق والعفاف والصدق، وهذا دليل على أهمية التوحيد وعظم شأنه.

قوله رحمه الله: وبعد العشر عرج به إلى السماء وفرضت عليه الصلوات الخمس وصلى بمكة ثلاث سنين.

يعني لما بعثه الله ومضى عليها عشر سنين يدعوا إلى التوحيد وينذر عن الشرك أسري به إلى المسجد الأقصى كما قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء: ١].

ثم عرج به من المسجد الأقصى إلى السماء حتى كلمه ربه وفرض عليه الصلوات الخمس كما جاء في صحيح البخاري.

عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله قال: فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغه في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء افتح قال من هذا قال هذا جبريل قال هل معك أحد قال: نعم معي محمد، فقال أرسل إليه قال: نعم فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة إذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل يساره بكى، فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى حتى عرج بي إلى السماء الثانية، فقال لخازنها افتح، فقال له خازنها

مثل ما قال الأول ففتح قال أنس فذكر أنه وجد في السماوات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم صلوات الله عليهم ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة قال أنس فلما مر جبريل بالنبي بإدريس قال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح فقلت: من هذا قال هذا إدريس ثم مررت بموسى، فقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قلت: من هذا قال هذا موسى ثم مررت بعيسى، فقال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح قلت: من هذا قال هذا عيسى ثم مررت بإبراهيم، فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت: من هذا قال هذا إبراهيم قال ابن شهاب فأخبرني ابن حزم ان ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان قال النبي ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام قال ابن حزم وأنس بن مالك قال النبي ففرض الله على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى، فقال: ما فرض الله لك على أمتك قلت: فرض خمسين صلاة قال: فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعني فوضع شطرها فرجعت إلى موسى قلت: وضع شطرها، فقال راجع ربك فإن أمتك لا تطيق فراجعت فوضع شطرها فرجعت إليه، فقال ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعته، فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي، فرجعت إلى موسى، فقال راجع ربك فقلت: استحييت من ربي ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدري ما هي ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبايل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك. رواه البخاري.

وهذا يدل على أهمية الصلاة وعظم شأنها، وهي آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين، حيث أنها أول ما فرض، بعد توحيد الله، والإنذار عن الشرك، وكذلك عرج به، ﷺ، وفرضت عليه بدون واسطة، ونزل جبريل، وأم النبي ﷺ في الأوقات الخمسة، في أول الوقت، وفي آخر الوقت وقال الصلاة ما بين هذين الوقتين كما جاء في الحديث عن ابن عباس أن النبي ﷺ **قال أمني جبريل عليه السلام عند البيت مرتين فصلى الظهر في الأولى منهما حين كان الفيء مثل الشراك ثم صلى العصر حين كان كل شيء مثل ظله ثم صلى المغرب حين وجبت الشمس وأفطر الصائم ثم صلى العشاء حين غاب الشفق ثم صلى الفجر حين برق الفجر وحرم الطعام على الصائم وصلى المرة الثانية الظهر حين كان ظل كل شيء مثله لوقت العصر بالأمس ثم صلى العصر حين كان ظل كل شيء مثليه ثم صلى المغرب لوقته الأول ثم صلى العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل ثم صلى الصبح حين أسفرت الأرض ثم التفت إلى جبريل فقال يا محمد هذا وقت الأنبياء من قبلك والوقت فيما بين هذين الوقتين.** رواه الترمذي وقال حديث حسن.

وقال أيضا وفي الباب عن أبي هريرة وبريدة وأبي موسى وأبي مسعود وأبي سعيد وجابر وعمرو بن حزم والبراء وأنس انتهى. وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

وقد أمر الله ﷺ بالصلاة والمحافظة عليها فقال تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ الَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى الصَّلَوَٰتِ وَالصَّلَوٰةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]. وقال تعلى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا۟ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [البقرة: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [البقرة: ٣].

وكما جاءت الآيات بالتحذير، من التهاون بالصلاة، والوعيد الشديد على من تهاون بها قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الماعون: ٤-٥]. وقال تعالى: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا۟ الشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [التوبة: ١١].

وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ الآية [التوبة: ٥].

ثم قال الشيخ رحمه الله: (صلى بمكة ثلاث سنين). أي بعد ما فرضت، عليه الصلاة صلى بمكة ثلاث سنين، وذلك انه أقام بمكة بعد البعثة، ثلاث عشرة سنة.

قال رحمه الله تعالى: وبعدها أمر بالهجرة، إلى المدينة.

والهجرة هجرتان:

الهجرة الأولى: إلى الله ورسوله كما في الحديث: عن عبدالله بن عمرو ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**». رواه البخاري.

الهجرة الثانية: انتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام.

قوله رحمه الله تعالى: (وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة). أي وبعد السنة الثالثة عشر من بعثته ﷺ: أمر بمفارقة المشركين، وأوطانهم.

وقد سبق، أن أذن النبي ﷺ لأصحابه أن يهاجروا إلى الحبشة، وأما النبي ﷺ فإنه لم يهاجر حتى أذن الله، له وهاجر إلى المدينة وذلك بعد أن بايعه الأنصار ﷺ وأرضاهم، في طرف العقبة من منى، لما أتوا إلى الحج فبايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأولادهم وقد صدقوا ووفوا ﷺ وأرضاهم فهاجر النبي ﷺ إليهم بعد ذلك ومعه أبو بكر الصديق كما ذكر الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ الآية. [التوبة: ٤٠].

والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وهي باقية إلى أن تقوم الساعة، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا

فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [النساء: ٩٧-٩٩].

وقال تعالى: ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قال البغوي رحمه الله تعالى: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين في مكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان.

قوله رحمه الله: (والهجرة الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة) ثم ذكر الشيخ رحمه الله الهجرة وحكمها وذكر أن الهجرة هي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وهي فريضة، أي واجبة، وباقٍ وجوبها، لم تنسخ، ولكنها تجب على من استطاع إلى ذلك سبيلا، وتسقط عن الذي لا يستطيع، من الضعفة ونحوهم، وسمي المهاجرون مهاجرين، لأنهم هجروا ديارهم ومساكنهم التي نشأوا بها لله تعالى، فكل من فارق بلده فهو مهاجر، والمهاجرة في الأصل مصارمة الغير، ومقاطعته ومباعدته.

وذكر رحمه الله تعالى: دليل وجوب الهجرة قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ

الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [النساء: ٩٧-٩٩].

هذه الآيات دليل صريح على وجوب الهجرة، والهجرة معلوم ثبوتها بالكتاب والسنة والإجماع، متوعد من تركها وهو يستطيع بالوعيد الشديد، قال تعالى: ﴿ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ الآية [النساء: ٩٧].

فإن الله فرضها، على رسوله ﷺ وعلى عباده قبل فرض الصوم والحج، وفرضُها باقٍ إلى قيام الساعة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: في تفسير هذه الآية (١) صفحة ٥٤٢ نزلت هذه الآية عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكنا من إقامة الدين فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع، وقوله: ﴿ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ﴾ يعني بالإقامة بين أظهر المشركين والكفار، وهذه الآية والله أعلم نزلت في أناس من أهل مكة تكلموا بالإسلام ولم يهاجروا، فقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾. أي ملك الموت ﴿ ظَالِمِي ﴾ بترك الهجرة ﴿ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ﴾ أي لم مكثتم هاهنا وتركتم الهجرة ﴿ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾. أي عاجزين عن الهجرة، لا نقدر على الخروج من البلد ولا الذهاب في الأرض ﴿ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾. أي فتخرجوا من بين، أهل الشرك ولم تعذرهم الملائكة. فلا يسلم أحد من الشرك، إلا بالمباينة لأهله قال تعالى: ﴿ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾. أي بئس المصير إلى جهنم، وهذا الوعيد فيه أن تارك الهجرة، بعد ما وجبت عليه مرتكب كبيرة

من كبائر الذنوب قال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ ﴾ أي عذر الله وعفى، عن أهل الأعذار بترك الهجرة وعسى من الله واجبه، قال ابن عباس رضي الله عنهما كنت أنا وأمي من المستضعفين، وكان النبي ﷺ يدعو للمستضعفين في الصلاة.

واستدل بقوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [العنكبوت: ٥٦]. وهذا دليل على أن ما جاء في الآية من الوعيد ﴿ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ أنه وعيد وأنهم لا يكفرون بذلك لأن الله قال في هذه الآية ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ فتارك الهجرة بعد ما وجبت عليه، ليس بكافر، لكنه عاص بتركها، فهو مؤمن ناقص الإيمان عاص من عصاة المسلمين.

قال البغوي رحمه الله تعالى: سبب نزول هذه الآية في المسلمين، الذين في مكة لم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان.

قال رحمه الله تعلى: والدليل على الهجرة من السنة قوله ﷺ لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها.

قوله رحمه الله تعالى: والدليل من السنة حديث معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»**. رواه أحمد، وأبو داود، والدارمي.

وأما حديث «لا هجرة بعد الفتح» فإنه لا يدل على نسخ وجوب الهجرة، وإنما يدل على أن مكة، صارت دار إسلام، بعد فتح مكة.

فإن الهجرة واجبة إلى قيام الساعة كما كانت قبل الفتح وقد جاءت أحاديث في السنن وغيرها وعيد على من أقام بين أظهر المشركين. كقوله ﷺ: **«أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين»** رواه أبو داود.

عن سمرة بن جندب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله»**. رواه أبو داود.

وقوله ﷺ: **«أنا بريء من مسلم بات بين ظهراني المشركين»**. رواه أبو داود والترمذي.

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعا: **«لا يَقْبَلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مُشْرِكٍ بَعْدَمَا أَسْلَمَ عَمَلاً أَوْ يُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ»** رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه الألباني.

عن جرير قال النبي ﷺ: **«قل أبايعك على أن تعبدالله وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة وتناصح المسلمين وتفارق المشركين»**. رواه النسائي.

وقال رحمه الله تعالى: فلما استقر في المدينة أمر ببقية شرائع الإسلام مثل الزكاة والصوم والحج والأذان والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شرائع الإسلام أخذ على هذا عشر سنين وبعدها توفي ﷺ ودينه باق وهذا دينه لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها منه والخير الذي دلها عليه التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه والشر الذي حذرها منه الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه.

قوله رحمه الله تعالى: فلم استقر بالمدينة، أمر ببقية شرائع الإسلام: أي لما هاجر من مكة إلى المدينة، واستقر بها وفشا التوحيد ودان به أولئك، أمر ببقية شرائع الإسلام التي تعبّد الله خلقه بها، إذ عامة الشرائع لم تشرع إلا في المدينة، مثل الزكاة والصوم والحج والأذان وفرضت الزكاة، وأمر السعاة بجبايتها، في السنة الثانية من الهجرة وفرض شهر رمضان وأمر الناس بصيامه في السنة الثانية من الهجرة، وفرض الحج إلى بيت الله الحرام، في السنة التاسعة من الهجرة، عند الجمهور، وأمر الناس في الحج.

عن أبي هريرة رضي الله عنه خطبنا رسول الله ﷺ فقال: **«يا أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا»** فقال: رجلٌ أكل عام يا رسول الله فسكت، حتى قالها ثلاثاً، فقال: **«لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم»**. رواه مسلم.

ثم قال ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلك بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه.

والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: من صفة النبي ﷺ: قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وهذه صفة متقدمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عام: قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وأعلى إنكار المنكر باليد، ثم باللسان، ثم بالقلب، كما جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»**. رواه مسلم.

وأعظم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الجهاد في سبيل الله الذي هو ذروة سنامه.

عَن معاذ بن جبل رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ في سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوماً قَرِيباً مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ تَعْبُدُ اللهَ وَلا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ الله قَالَ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ تَلا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٦-١٧].

ثُمَّ قَالَ: أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ ثُمَّ قَالَ: أَلا أُخْبِرُكَ بِمَلاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ قُلْتُ يَا رَسُولَ الله وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ. أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

قوله رحمه الله: وغير ذلك من شرائع الإسلام كبرِّ الوالدين وصلة الأرحام وغير ذلك من الشرائع ومكارم الأخلاق ومحاسن الإسلام.

أخذ على هذا عشر سنين وبعدها (توفي صلاة الله وسلامه عليه) يعني توحي إليه الشرائع أركانها وواجباتها وشروطها، وما ينافي ذلك، ثم توفي ﷺ، بعد ما أكمل الله به الدين وبلغ البلاغ المبين قال أبو ذر: (ما توفي رسول الله ﷺ إلا وما طائر يقلب جناحه إلا ذكر لنا منه علماً).

كما في الحديث عن جابر رضي الله عنه أن الرسول الله ﷺ قال في خطبة الوداع يوم عرفة تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللهِ. وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ قَالُوا نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ اللَّهُمَّ اشْهَدِ اللَّهُمَّ اشْهَدْ اللهم اشهد. تركت فيكم أي كتاب الله وسنته.

قوله رحمه الله: ودينه باق: أي دينه باق ومحفوظ قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝ ﴾. [الحجر: ٩].

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ». رواه مسلم.

وهذا دينه أي الذي ترك أمته عليه، وتكفل الله بحفظه، وهو هذا الدين الذي أعلاه وأشرفه، الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك.

قوله رحمه الله تعالى: لا خير إلا دل الأمة عليه: قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

قوله رحمه الله تعالى: ولا شرَّ إلا حذرها منه: خوفاً على أمته من الوقوع بالمهالك عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم من شر ما يعلمه لهم. رواه مسلم.

قوله رحمه الله تعالى: والخير الذي دلها عليه التوحيد: فهو أصل كل خير وأعظمه، وأوجب الوجبات، وبه أرسل الرسل، كما تقدم بيانه عند قول المصنف أعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ومعنى ﴿يَعْبُدُونِ﴾ يوحدون وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة.

وجميع ما يحبه الله ويرضاه: من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

والشر الذي حذرها منه الشرك: وهو أول ما أمر به النبي ﷺ في الإنذار عنه لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④﴾ [المدثر: ١-٤].

وكذلك كان كل رسول، أرسله الله، ينهى عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد.

قوله رحمه الله وجميع ما يكره الله ويأباه: والكراهية مذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦].

والإباء في قوله تعالى: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾.

قال رحمه الله تعل: بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض طاعته، على جميع الثقلين الجن والإنس، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ الآية [الأعراف: ١٥٨].

وأكمل الله به الدين والدليل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

والدليل على موته ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ③⓪ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ③①﴾ [الزمر: ٣٠-٣١].

قوله رحمه الله تعالى: بعثه الله إلى الناس كافة: يعني بعث الله نبينا محمداً ﷺ إلى كافة الناس عربهم وعجمهم ذكرهم وإناثهم حرهم وعبدهم ورقيقهم ولا نزاع في ذلك بين المسلمين.

وافترض طاعته على جميع الثقلين الجن والإنس: قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ الآية. [النساء: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ الآية [النساء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٨].

هذا عموم ظاهر في بعثته ﷺ إلى الناس جميعاً عربهم وعجمهم.

وقوله: ﴿جَمِيعًا﴾ تأكيد بعثه إلى الناس جميعاً قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ: ٢٨].

وفي سورة الرحمن وسورة الجن وغيرهما، دلالة واضحة على شمول رسالته، إلى الجن والإنس.

وقوله ﷺ: **«وكان النبي يبعث إلى قومهم خاصة وبعثت إلى الناس عامة»**. رواه البخاري.

وهذا معلوم من دين الإسلام بالضرورة انه ﷺ، رسول الله إلى الثقلين كلهم.

وقوله رحمه الله: وكمل الله به الدين: أي أكمل الله به الدين وبلغ الدين حتى قال الرسول ﷺ: **«تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»**. صحيح ابن ماجه للألباني.

وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. هذه الآية نزلت قبل وفاته بثمانين يوماً نزلت وهو واقف بعرفة يخطب.

وأتممت عليكم نعمتي: قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٥]. أي صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأوامر والنواهي، وفيها بيان أن الله أكمل لنا الدين، وانه كمل من جميع وجوهه، والكامل لا يزاد فيه، ولا ينقص منه ولا يبدل.

ورضيت لكم الإسلام دينا: أي فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي أحبه الله، ورضيه.

ثم ذكر المصنف رحمه الله تعالى: الدليل على موته ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: ٣٠-٣١]. أي إنك يا محمد ستموت.

وفي الصحيح عن عائشة زوج النبي ﷺ، أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح قال إسماعيل يعني بالعالية فقام عمر رضي الله عنه يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ. قالت وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذلك، وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم. فجاء أبو بكر رضي الله عنه فكشف عن وجه رسول الله ﷺ، فقبله، وقال: بأبي أنت وأمي، طبت حيا وميتا، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدا. ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك. فلما

تكلم أبو بكر ﷺ جلس عمر ﷺ. فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله عز وجل حي لا يموت، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝﴾ [الزمر: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ۝﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ولكن هو حي ﷺ في قبره، حياة برزخية، وهي أعلى وأكمل، من حياة الشهداء، وأما الحياة الجثمانية، فلا ريب أنه مات ﷺ وغسل وكفن، وصلي عليه، ودفن في قبره ﷺ، ولم يقل أنه لم يمت إلا المبتدعة الخارجة عن منهج الكتاب والسنة.

وإلا فموته، ﷺ، معلوم بالسمع، والمشاهدة، مشهور، يعلمه الخاص، والعام لا يمتري فيه إلا مكابر، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۝﴾ [آل عمران: ١٨٥].

قال رحمه الله تعالى: والناس إذا ماتوا يبعثون: والدليل قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۝﴾ [طه: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝﴾ [نوح: ١٧-١٨].

وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم: والدليل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ٣١].

ومن كذّب بالبعث كفر: والدليل قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: ٧].

وقول المصنف رحمه الله: والناس، إذا ماتوا يبعثون ليجازى كل بعمله، ويقتص بعضهم من بعض حتى البهائم. قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥٥].

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾. أي من الأرض مبدؤكم فإن أباكم آدم مخلوق من تراب.

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾. أي إذا متم تصيرون إليها فتدفنون بها. ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾. أي من الأرض نخرجكم يوم البعث والحساب.

﴿تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾. أي مرة أخرى قال تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: ١٧-١٨].

﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ أي مبدأ خلق آدم من الأرض. ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾. أي يعيدكم في الأرض إذا متم.

﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ أي يخرجكم منها بعد البعث أحياء.

ثم ذكر المصنف رحمه الله: (وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ٣١].

محاسبون: أي الأعمال حسنها وسيئها والإيمان بالمجازاة والمحاسبة من الإيمان باليوم الآخر. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ٣١].

كما في قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾ [إبراهيم: ٥١].

فإن الله تعالى يوم القيامة يجازي كلاً بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١].

ولما قرر المصنف رحمه الله: البعث، ذكر حكم من أنكر البعث، وقال ومن كذب بالبعث كفر، لتكذيبه لله ﷻ ولرسوله وإجماع المسلمين. قال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: ٧].

دل على أن إنكار البعث كفر بل هو من أعظم كفر أهل الجاهلية كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ﴾ [سبأ: ٣].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ [الحج: ٥].

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فصلت: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ [يس: ٧٧-٨١].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ۝ ﴾ [الإسراء ٥٠-٥١]. والآيات التي تدل على إثبات البعث والمعاد والجزاء كثيرة جدا.

قال رحمه الله تعالى: وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين: قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ ﴾ [النساء: ١٦٥].

وأولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ والدليل على أن أولهم نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾ الآية [النساء: ١٦٣].

وقوله رحمه الله: وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين يعني من أولهم إلى آخرهم، مبشرين، من أطاع الله ومنذرين، من عصى الله قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ ﴾ [النساء: ١٦٥].

لأن الله جل وعلى، أرسل الرسل، قال تعالى: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ لئلا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير وقال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝ ﴾ [المائدة: ١٥].

وقال ﷺ في سورة الإسراء: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وأولهم نوح عليه السلام: أي أن أول الرسل، الذين بعثهم الله نوحاً، عليه السلام، وقد أشكل على هذا قول، أن إدريساً عليه السلام قبل نوح عليه السلام، والجواب أن نوحاً عليه السلام، أول الرسل، حدث الشرك في قومه، فأرسل الله إليهم نوحاً، عليه السلام، ينهاهم عن الشرك، ويدعوهم إلى التوحيد، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان بين نوح وآدم عليهم السلام عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين.

وآخرهم محمد ﷺ: وهو خاتم النبيين، يعني انتهى بعث الرسل، عليهم السلام وختم، بنبينا محمد ﷺ، فمن ادعى ذلك فهو كذاب وقد جاء في الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين. كلهم يزعم أنه رسول الله». رواه البخاري ومسلم.

وخرج منهم في عهد، الرسول ﷺ مسيلمة الكذاب والأسود العنسي، ممن يزعم أنه نبي. والمراد ممن كان له شوكة وأتباع، وقد خرجوا ولم يبقى منهم إلا الدجال الكذاب الأعور نعوذ بالله من فتنته، وأما من كان عنده سوداء وجنون فكثير.

قال رحمه الله تعالى: وكل أمة بعث الله إليهم رسولاً، من نوح إلى محمد، ﷺ يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الآية [النحل ٣٦].

وافترض الله، على جميع العباد، الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله.

قوله رحمه الله تعالى: (وكل أمة بعث الله إليهم رسولاً من نوح إلى محمد ﷺ) من أولهم نوح إلى خاتمهم محمد ﷺ وما من أمة ولا طائفة من الطوائف إلا بعث الله إليها رسولا، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥].

ولما كانت الرسل قبل محمد ﷺ، كلما هلك نبي خلفه نبي، وكان نبينا محمد، ﷺ، خاتم النبيين لا نبي بعده، قيض الله لهذه الأمة أئمة هدى، حفظ الله بهم دينه، وأقام بهم الحجة على عباده، كما قال النبي ﷺ في الحديث عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ». رواه البخاري ومسلم.

وقوله: (يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت) كما تقدم أن التوحيد، هو دين الرسل من أولهم إلى آخرهم، ولأجله خلق الله الخلق، وأرسل الرسل، وأنزلت الكتب قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الآية [النحل ٣٦].

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

قوله رحمه الله تعالى: وافترض الله على جميع العباد، الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، وهذا معنى، لا إله إلا الله، كفر بالطاغوت، وإيمان بالله، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال رحمه الله تعالى: قال ابن القيم رحمه الله تعالى: الطاغوت، ما تجاوز به العبد حده، من معبود، أو متبوع، أو مطاع.

وقوله رحمه الله تعالى: قال ابن القيم رحمه الله تعالى، معنى الطاغوت، ما تجاوز به العبد حده، من معبود، أو متبوع، أو مطاع.

ابن القيم: هو الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، المعرف بابن القيم الجوزية، صاحب التصانيف المقبولة، المتوفى سنة سبعمائة وإحدى وخمسين.

عرَّف رحمه الله الطاغوت: فقال: هو ما تجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع.

يعني كل شيء يتعدى به العبد حده، أي قدره، الذي ينبغي له في الشرع، يصير به طاغوتاً، قال ابن القيم فإذا تأملت طواغيت العالم، فإذا هي لا تخرج عن هذه الثلاثة، أي معبود أو متبوع، أو مطاع، معبود مع الله بأي نوع من أنواع العبادة أو متبوع في معاصي الله، أو مطاع من دون الله، في التحليل والتحريم، بأن يحرم ما أحل الله ويحل ما حرم الله.

قال رحمه الله والطواغيت كثيرون ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله ومن عُبِدَ وهو راض ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادَّعى شيئا من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله. والدليل قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وهذا معنى لا إله إلا الله.

ثم قال المصنف رحمه الله بعد تعريف ابن القيم للطاغوت:

قال والطواغيت كثيرون، أن كل من تجاوز حده في الشرع صار بخروجه منه، وتجاوزه طاغوتاً.

ثم قال رحمه الله ورؤوسهم خمسة: أي أكبر الطواغيت بالاستقراء والتأمل خمسة.

إبليس لعنه الله: لأنه يدعو إلى عبادة غير الله.

ومن عبد وهو راض بتلك العبادة: كمن يرضى أن يذبح له ويسجد له فهو طاغوت.

ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه: يقر الغلو والتعظيم بغير حق كمشائخ الضلال الذين غرضهم، العلو في الأرض والفساد، واتخاذهم أرباباً والإشراك بهم وحكي عن بعض أئمة الضلال، انه قال من كان له حاجة **فليأتي إلى قبري** وليستغيث بي.

ومن إدعاء شيئاً من علم الغيب: كالمنجمين والرمالين ونحوهم، الذين يدّعون علم الغيب، من الأشياء المستقبلة.

ومن حكم بغير ما أنزل الله: كمن يحكم بقوانين الجاهلية، والقوانين الدولية، التي تخالف حكم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، **يعتقد أن هذا الأصلح** للناس، وأن حكم الكتاب والسنة، لا يصلح للناس والله جل وعلا قال: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝﴾ [المائدة: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

ثم استدل رحمه الله بقول الله ﷻ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قيل معنى ﴿لَآ إِكۡرَاهَ﴾ أنه إذا كان في المسلمين ضعف، ولا يستطيعون قتال الكفار، فإن الله رخص لهم.

والقول الثاني أن هذه الآية منسوخة بآية السيف بقوله ﷻ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥﴾ [التوبة: ٥].

﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ أي استمسك بالتوحيد العروة القوية، التي لا تنفك، ولا تنفصم، فمن تمسك بالتوحيد دين الله، الذي أرسل به الرسل وأنزل به الكتب الذي لا يقبل الله ديناً سواه ومات على ذلك، فإنه ممن يرجى له دخول الجنة والنجاة من النار نسأل الله الجنة ونعوذ بالله من النار.

وقوله وهذا هو معنى لا إله إلا الله: أي الكفر بالطاغوت والإيمان بالله.

وقال رحمه الله تعالى: وفي الحديث: رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله.

وقوله وفي الحديث: أي الذي رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح: رأس الأمر الإسلام: أي رأس الدين، الذي جاء به النبي ﷺ **هو الإسلام**، فمن انتسب إلى ما جاء به، النبي ﷺ، وقد فقد منه (**رأسه أي الإسلام**)، وحقيقته، فليس من امة الإجابة وكل شيء، فقد رأسه لا ينتفع به.

وقوله وعموده الصلاة: أي هذا فيه عظم شأن الصلاة، وأنها من الدين بهذا المكان العظيم، مكان العمود من الفسطاط، **فكما أن الفسطاط لا يقوم إلا بعمود فكذلك** الإسلام لا يقوم إلا بالصلاة.

وقوله وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله: ذروة الشيء **أعلاه وذروة البعير** سنامه، وهذا يعني أن الجهاد هو أعلا وأرفع خصال الدين، **وذلك أن فيه بذل** المهج التي ليس شيء أنفس منها، فيبذل مهجته، ويبذل ماله لنصرة الدين وتأييده، وجهاد الكفار والمنافقين قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٩﴾ [التحريم: ٩].

وقال تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝٢٩﴾ [التوبة: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤١﴾ [التوبة: ٤١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ [الصف: ١٠-١٢].

والجهاد شرع على مراتب: أول ما أنزل الله فيه الأذن بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحج: ٣٩].

ثم نزل وجوبه بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ولم يأمر بقتال، من سالمهم وهادنهم، ثم أنزل الله في براءة، الأمر، بنبذ العهد، وقتال المشركين كافة، وبقتال أهل الكتاب إذا لم يسلموا، حتى يعطوا الجزية.

وقال ابن القيم رحمه الله: كان محرماً، ثم مأذوناً فيه، ثم مأموراً به، لمن بدأهم بقتالهم، ثم مأموراً به، لقتال جميع المشركين قال الله ﷻ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [التوبة: ٥].

وجاء في الحديث كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميراً أو سرية، أوصاه في خاصّة نفسه بتقوى، الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال اغزوا بسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله. الحديث في صحيح الترمذي.

وهذا يدل على أن قتال الكفار، مشروع من أجل الكفر، لا للدفاع. والله تعالى أعلم.

وبهذا انتهى الكلام على شرح ثلاثة الأصول، لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، رحمه الله تعالى، أسأل الله تعالى أن يجزيه عنا وعن الإسلام والمسلمين، خير الجزاء فإن الله تعالى نفع به الإسلام والمسلمين نفع الله بدعوته ومؤلفاته، وثلاثة الأصول، هذه نفع الله بها الخاص، والعام، والصغير، والكبير في هذه الجزيرة، وغيرها من أقطار الأرض، نسأل الله أن يبارك فيها، وأن ينفع بها وبشرحها وأن يمن علينا، بالإخلاص لوجه الكريم، ومتابعة رسوله ونبيه، محمد ﷺ كما نسأله جل وعلا أن يمنّ علينا بالثبات على الإسلام، والموت على الإيمان، وحسن الختام، وأن يغفر لنا ولوالدينا، ولجميع المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.

كما نسأله أن ينصر دينه وأن يعلي كلمته، ويذل أعدائه، وينصر المسلمين عليهم، في كل مكان، وأن يرحم المستضعفين، من المسلمين، ويجعل لنا ولهم، من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ومن كل بلاء عافيه، وأن يولي على المسلمين خيارهم، ويكفيهم شر شرارهم. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

اللهم إنا نسألك الجنة ونعوذ بك من النار. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

فهرس

عدد	بيان	الصفحة
١	مقدمة الكاتب	٣
٢	تعلم أربع مسائل	٤
٣	الأولى العلم	٤
٤	الثانية العمل به	٦
٥	الثالثة الدعوة إليه	٨
٦	الرابعة الصبر عل الأذى فيه	١٠
٧	الصبر ثلاثة أقسام	١١
٨	تعلم الثلاث مسائل	١٦
٩	الأولى أن الله خلقنا ورزقنا.......	١٦
١٠	الثانية أن الله لا يرضى.......	١٩
١١	الثالثة أن من أطاع الرسول.....	٢٢
١٢	اعلم أرشدك الله لطاعته	٢٣
١٣	أنواع التوحيد	٢٧
١٤	معرفة الأصول الثلاثة	٢٨
١٥	إذا قيل لك من ربك	٣٢
١٦	إذا قيل لك بما عرفت ربك	٣٥
١٧	الرب هو المعبود	٤٠
١٨	النواع العبادة	٤٢
١٩	أنواع الدعاء	٤٤

عدد	بيان	الصفحة
٢٠	طلب الشفاعة	٤٦
٢١	مسألة بيان التوسل	٤٨
٢٢	دليل الخوف	٥٠
٢٣	النواع الخوف	٥٠
٢٤	الأول الخوف من الله	٥٠
٢٥	الثاني خوف السر	٥١
٢٦	الثالث الخوف المحرم	٥٢
٢٧	الرابع الخوف الطبيعي	٥٣
٢٨	دليل الرجاء	٥٣
٢٩	النواع الرجاء	٥٤
٣٠	الأول رجاء العاملين	٥٤
٣١	الثاني رجاء التائبين	٥٥
٣٢	الثالث رجاء مذموم	٥٦
٣٣	الرابع رجاء فاسد	٥٦
٣٤	دليل التوكل	٥٨
٣٥	النوع الأول من التوكل	٥٨
٣٦	قول ابن القيم بمباشرة الأسباب	٥٩
٣٧	النوع الثاني من التوكل	٦٠
٣٨	النوع الثالث من التوكل	٦٠
٣٩	النوع الرابع من التوكل	٦١

عدد	بيان	الصفحة
٤٠	الرغبة والرهبة والخشوع	٦١
٤١	الخشية	٦٢
٤٢	الإنابة	٦٤
٤٣	الاستعانة	٦٤
٤٤	الأول الاستعانة بالله	٦٤
٤٥	الثاني الاستعانة بغير الله	٦٤
٤٦	الثالث الاستعانة بالحي الحاضر القادر	٦٥
٤٧	الاستعاذة	٦٥
٤٨	الأول الاستعاذة بالله	٦٥
٤٩	الثاني الاستعاذة بغير الله	٦٦
٥٠	الثالث الاستعاذة المباحة	٦٧
٥١	الاستغاثة	٦٧
٥٢	الأول الاستغاثة بالله	٦٧
٥٣	الثاني الاستغاثة بغير الله	٦٨
٥٤	الثالث الاستغاثة بالحي الحاضر القادر	٦٨
٥٥	الذبح	٦٨
٥٦	الأول الذبح لله	٦٩
٥٧	الثاني الذبح لغير الله	٦٩
٥٨	التسمية على الذبح	٧٠
٥٩	الأصل الثاني	٧٣

عدد	بيان	الصفحة
٦٠	أركان الإسلام	٧٣
٦١	الركن الأول الإسلام	٧٣
٦٢	أصل الدين وقاعدته	٧٩
٦٣	أدلة هذه الأركان	٧٩
٦٤	معنى لا إله إلا الله	٧٩
٦٥	شروط لا إله إلا الله	٨١
٦٦	تفسيرها الذي يوضحها	٨٤
٦٧	دليل شهادة أن محمداً رسول الله	٨٧
٦٨	دليل الصلاة والزكاة	٩٠
٦٩	الركن الثاني الصلاة	٩١
٧٠	الركن الثالث الزكاة	٩٢
٧١	الركن الرابع صيام شهر رمضان	٩٣
٧٢	الركن الخامس حج بيت الله الحرام	٩٤
٧٣	المرتبة الثانية الإيمان	٩٥
٧٤	أنواع القدر	٩٨
٧٥	المرتبة الثالثة الإحسان	١٠٠
٧٦	دليل مراتب الدين من السنة	١٠٠
٧٧	الأصل الثالث	١٠٥
٧٨	بعث النبي بالنذارة عن الشرك	١١٢
٧٩	الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	١٢٣

عدد	بيان	الصفحة
٨٠	تقرير المصنف عن البعث	١٣٢
٨١	أول الرسل نوح عليه السلام وآخرهم محمد عليه السلام	١٣٤
٨٢	**معنى الطواغيت**	١٣٧
٨٣	**تعريف الطواغيت**	١٣٧

مطبعة النرجس التجارية
NARJIS PRINTING PRESS
E-mail: narjiscop@yahoo.com